

al-maktabeh

الإيمان

مكتبة

بالتوراة الكبير

والكتب  
السماوية

د. علي محمد الصلابي

للمكتبة العظمى

مكتبة المصنفين الإسلامية



الْإِيمَانُ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ  
وَالْكِتَابِ لِسَمَائِلِنَا

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية  
محفوظة لدار المعرفة بيروت - لبنان

Copyright© All rights reserved  
Exclusive rights by Dar Al-Marefah  
Beirut - Lebanon

المفتدين

ISBN 9953-85-266-9

الطبعة الأولى  
1431 هـ - 2010 م

دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع

**DAR AL-MAREFAH**  
Printing & Publishing



جسر المطار شارع البرجاوي • هاتف: ٨٢٤٣٣٢-٨٢٤٣٠١  
فاكس: ٨٢٥٦١٤ • ص.ب: ٧٨٧٦ - بيروت - لبنان  
Airport Bridge Birjawi Str. • Tel: 834301-834332  
Fax: 835614 • P.O.Box: 7876 Beirut - Lebanon  
Email: info@marefah.com • www.marefah.com

مكتبة المفتدين الإسلامية

# الْإِيمَانُ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْكَتَابِ لِسَمَافِئِهَا

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشَعًا مُّتَصِّدِعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَذَلِكَ الْأَمْتَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾  
(الحشر، آية : 21)

الذِّكْرُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ بِحَمْدِ الصَّلَاةِ





قال تعالى :

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ  
خَشِيعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ  
الْأَمْثَلُ نُضْرِمُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَنْفَكُّوْنَ﴾

{الحشر، آية : 21}



## الإهداء

إلى كل إنسان يبحث عن منهج الله في الوجود  
أهدي هذا الكتاب...

قال تعالى:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا  
وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

[الكهف: 110]





# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، ومن يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَوْا وَلَهُ أَرْحَامٌ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧١﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: 70 - 71].

يا رب لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضى.

أما بعد: فهذا الكتاب يتحدث عن الإيمان بالقرآن الكريم والكتب السماوية، وهو من ضمن سلسلة أركان الإيمان، وقد قمت بتقسيمه إلى مباحث:

المبحث الأول: وقد تحدثت فيه عن القرآن الكريم لغة واصطلاحاً.

وفي المبحث الثاني: تكلمت فيه عن عظمة القرآن وأسمائه وصفاته.

ومن أسماء القرآن الكريم، الفرقان والبرهان، والحق والنبأ العظيم، والبلاغ، والروح والموعظة، والشفاء، وأحسن الحديث.

وذكر المولى ﷺ أوصافاً عديدة للقرآن الكريم منها:

الحكيم، والعزیز، والكريم والمجيد، والعظيم، والبشير والنذير.

وفي المبحث الثالث: أشرت إلى خصائص القرآن الكريم والتي من أهمها كونه كتاب إلهي، ومحفوظ ومعجز، ومبين وميسر، وكتاب هداية، وكتاب الإنسانية كلها والزمن كله، ونزل بأرقى اللغات وأجمعها، ومهيمن على الكتب السماوية السابقة.

وفي المبحث الرابع: تكلمت عن مقاصد القرآن الكريم والتي من أهمها، تصحيح العقائد والنصورات، وتزكية النفس البشرية، وعبادة الله وتقواه، وإقامة العدل بين الناس، الشورى، الحرية، رفع

الخرج، تقرير كرامة الإنسان بالأخلاق والفضائل وتقرير حقوق الإنسان، كحق الحياة والحرية والمساواة والعدالة، وحق الفرد في محاكمة عادلة، حق الحماية من تعسف السلطة، وحق الفرد في حماية عرضه وسمعته، حق اللجوء، وحقوق الأقليات، وحق المشاركة في الحياة العامة، وحق الدعوة والبلاغ والحقوق الاقتصادية، وحق الملكية، وحق العامل وحق الفرد في كفايته من مقومات الحياة، وتأكيد حقوق الضعفاء، ومن مقاصد القرآن الكريم، تكوين الأسرة الصالحة، وإنصاف المرأة وتحريرها من ظلم الجاهلية، وبناء الأمة الشهيذة على الناس، والسماحة والرحمة، والوفاء بالعهود والعقود.

وفي المبحث الخامس: جمع القرآن وكتابته وقد بينت المراحل التي مرَّ بها المشروع الحضاري في جمع القرآن الكريم وكتابته من عهد النبي ﷺ إلى عهد عثمان بن عفان ؓ.

وفي المبحث السادس: كان الحديث عن الكتب السماوية كصحف إبراهيم، والتوراة والإنجيل، والزبور، ووجوب الإيمان بها وأهمية ذلك وما تعرضت له من التحريف، ونسخ القرآن الكريم للكتب التي سبقته.

هذا وقد انتهيت من هذا الكتاب يوم الخميس في الساعة السادسة إلا ربع مساءً بتاريخ 24 شعبان 1431هـ - 2010/8/5م.

والفضل لله من قبل ومن بعد، وأسأله ﷻ أن يتقبل هذا العمل

ويشرح صدور العباد للانتفاع به وبيارك فيه بمنه وكرمه وجوده قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: 2].

ولا يسعني في نهاية هذا الكتاب إلا أن أقف بقلب خاشع منيب أمام خالقي العظيم وإلهي الكريم، معترفاً بفضلته وكرمه وجوده متبرئاً من حولي وقوتي، ملتجئاً إليه في كل حركاتي وسكناتي وحياتي ومماتي، فالله هو خالقي هو المتفضل، وربّي الكريم هو المعين، وإلهي العظيم هو الموفق، فلو تخلى عني ووكلني إلى عقلي ونفسي لتبلد مني العقل، ولغابت الذاكرة، وليست الأصابع ولجفت العواطف، ولتججرت المشاعر، ولعجز القلم عن البيان، اللهم بصرني بما يرضيك واشرح له صدري وجنبي اللهم ما لا يرضيك واصرفه عن قلبي وتفكيري، وأسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تجعل عملي لوجهك خالصاً، ولعبادك نافعاً، وأن تثيني على كل حرف كتبه وتجعله في ميزان حسناتي وأن تثيب إخواني الذين أعانوني على إتمام هذا الجهد الذي لولاهم ما كان له وجود ولا انتشار بين الناس، ونرجو من كل مسلم يطلع على هذا الكتاب ألا ينسى العبد الفقير، إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه.

قال تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: 19].

وأختتم هذا الكتاب بقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا  
الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ  
رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: 10].

«سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك  
وأتوب إليك».

علي محمد محمد الصَّلَابي

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

Mail: [info@alsallab.com](mailto:info@alsallab.com)

Website: [www.alsallab.com](http://www.alsallab.com)

# الإيمان بالقرآن الكريم والكتب السماوية

## المبحث الأول: القرآن لغة واصطلاحاً

### أولاً - القرآن لغة :

اتفق أهل العلم رحمهم الله على أن لفظ «قرآن» اسم وليس بفعل ولا حرف، لكنهم اختلفوا فيه من جهة الاشتقاق أو عدمه، ومن جهة كونه مهموزاً أو غير مهموز ومن جهة كونه مصدرأ أو وصفاً على أقوال عدة تجمل فيما يأتي<sup>(1)</sup> :

القول الأول: إنه «اسم علم غير منقول» وضع من أول الأمر علماً على الكلام المنزل على محمد ﷺ، وهو اسم جامد غير مهموز، مثل التوراة والإنجيل، وهذا القول مروى عن جماعة من العلماء منهم: الشافعي، وابن كثير وغيرهما رحمهم الله جميعاً.

وقد نقل ابن منظور أن الشافعي رحمه الله كان يقول: القرآن اسم، وليس بمهموز، ولم يؤخذ من قرأت ولكن اسم لكتاب الله

---

(1) معجم مقاييس اللغة (2/ 396)، المصباح المنير، ص: 259، لسان العرب (1/ 128)

مثل التوراة والإنجيل<sup>(1)</sup>.

القول الثاني والثالث: هم القائلون بأن لفظ القرآن «مهموز»<sup>(2)</sup> فقد اختلفوا على رأيين:

- أن القرآن: مصدر «قرأ» بمعنى: «تلا» كالرجحان والغفران، ثم نُقل من المصدر وجُعل اسماً للكلام المنزّل على نبينا محمد ﷺ.

ويشهد له قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَالْتَفِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: 18] أي: قراءته.

وقول حسان بن ثابت يرثي عثمان رضى الله عنه: ضحوا بأشمط عنوان السجود به يُقَطَّع الليل تسبيحاً وقرآناً أي: قراءة<sup>(3)</sup>.

- أن القرآن: وصف على وزن فعلان مشتق من «الْقُرْء» بمعنى الجمع، ومنه: قرأ الماء في الحوض إذا جمعه، «وقرأت الشيء قرآنًا»: جمعته وضممت بعضه إلى بعض<sup>(4)</sup>.

وسمي القرآن قرآنًا، لأنه جمع القصص، والأمر والنهي والوعد والوعيد، والآيات والسور بعضها إلى بعض، وهو مصدر كالغفران والكفران<sup>(5)</sup>.

(1) لسان العرب (1/ 128) مادة «قرأ».

(2) معنى مهموز: أن الهمزة في لفظ «القرآن أصلية» من «قرأ».

(3) عظمة القرآن الكريم، محمود الدوسري، ص: 47.

(4) لسان العرب (1/ 128).

(5) عظمة القرآن الكريم، ص: 47، ومن القائلين بهذا القول الزجاج.



القولان الرابع والخامس: هم القائلون بأن لفظ القرآن «غير مهموز» لكنهم اختلفوا في أصل اشتقاقه على قولين:

- أنه مشتق من «قَرَنْتُ الشيء بالشيء» إذا ضَمَمْتُ أحدهما إلى الآخر.

قالوا: فسُمِّيَ القرآن به: لِقران السُّور والآيات والحروف فيه، ومنه فسُمِّيَ الجمع بين الحج والعمرة في إحرام واحد قران<sup>(1)</sup>.

- أنه مشتق من «القرائن» جمع قرينة، لأن آياته يُصَدَّق بعضها بعضاً ويُشبه بعضها بعضاً<sup>(2)</sup>.

ويظهر - والله أعلم - أن أرجح هذه الأقوال هو القول الثاني، لِقُرب اشتقاقه من كلمة القرآن لفظاً ومعنى.

وأصبح لفظ القرآن - بعد ذلك -: علماً على الكتاب المنزل<sup>(3)</sup>.

### ثانياً: القرآن في الاصطلاح:

وقد ذكر العلماء رحمهم الله للقرآن الكريم تعريفاً اصطلاحياً يُقَرَّب معناه ويميزه عن غيره، فعَرَفُوهُ بأنه: كلام الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، المعجز بلفظه، المتعبد بتلاوته المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر<sup>(4)</sup>.

(1) البرهان في علوم القرآن (1/ 278) للزركشي.

(2) الإنثقان في علوم القرآن، ص: 137 للسيوطي.

(3) عظمة القرآن الكريم ص: 49.

(4) المصدر نفسه.

## المبحث الثاني: عظمة القرآن وأسماءه وصفاته

أولاً: عظمة القرآن الكريم:

تحدث المولى ﷺ في كتابه عن عظمة القرآن الكريم ومن خلال آياته الحكيمة نبين هذه العظمة وإليك التفصيل:

### 1 - ثناء الله على كتابه:

أثنى الله تعالى على كتابه العزيز في آيات كثيرة مما يدل على عظمته كما وصفه «بالعظيم» في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: 87].

ووصفه بالأحكام في قوله تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: 1].

وذكر هيمنته على الكتب السابقة في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: 48].

وهذا الكتاب هو المهيمن الحافظ لمقاصد الكتب المنزلة قبله، الشاهد المؤتمن على ما جاء فيها يُقرُّ الصحيح فيها ويُصحح الخطأ.

ووصفه في أم الكتاب بأنه «عليّ حكيم» في قوله: ﴿وَإِنَّمَا فِيهِ لُحْلُوكٌ مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَآخِرَةٍ لِّعَلِّى حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: 4].

فهذه شهادة من الله تعالى بعلو شأن القرآن وحكمته، ولا ريب

أن من عظمة القرآن أنه «عليّ» في محله، وشرفه، وقدره، فهو عال على جميع كتب الله تعالى، بسبب كونه معجزاً باقياً على وجه الدهر<sup>(1)</sup>.

ومعنى الحكيم: المنظوم نظماً متقناً لا يعتريه أي خلل في أي وجه من الوجوه، فهو حكيم في ذاته حاكم على غيره.

والقرآن «حكيم» كذلك فيما يشتمل من الأوامر والنواهي، والأخبار، وليس فيه حكم مخالف للحكمة والعدل والميزان.

ومن ثناء الله تعالى على القرآن أن وصفه في ثلاث سور بأنه «كتاب مبارك».

- قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام: 92].

- وقال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: 155].

- وقال تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَمْ تُنْكِرُوهُ﴾ [الأنبياء: 50].

وبركة هذا الكتاب تمتد إلى يوم القيامة وعطاؤه نام لا ينفذ..  
يواكب الحياة بهذا العطاء، ثم يأتي شفيعاً لأصحابه<sup>(2)</sup>.

(1) التفسير الكبير (27/167).

(2) عظمة القرآن الكريم، ص: 59.

## 2 - عظمة مُنْزَلِهِ ﷺ:

العظيم: ذو العظمة والجلال في ملكه وسلطانه ﷺ ،  
والعظمة صفة من صفات الله، لا يقوم لها خلق والله تعالى خلق بين  
الخلق عظمة يعظم بها بعضهم بعضاً، فمن الناس من يعظم لمال،  
ومنهم من يعظم لفضل، ومنهم من يعظم لعلم، ومنهم من يعظم  
لسلطان، ومنهم من يعظم لجاه، وكل واحد من الخلق إنما يعظم  
بمعنى دون معنى، والله ﷺ يعظم في الأحوال كلها، فينبغي لمن  
عرف حق عظمة الله ألا يتكلم بكلمة يكرهها الله، ولا يرتكب  
معصية لا يرضاها الله، إذ هو القائم على كل نفس بما كسبت<sup>(1)</sup>.

فالله تعالى هو العظيم المطلق، لأنه عظيم في ذاته وأسمائه  
وصفاته كلها، فلا يجوز قصر عظمته في شيء دون شيء منها، لأن  
ذلك تحكم لم يأذن به الله<sup>(2)</sup>.

فمن عظمته تعالى: أنه لا يَسْقُ عليه أن يحفظ السماوات السبع  
والأرضين السبع، ومن فيها، وما فيها، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَتَوَدُّهُ  
حِفْظُهُمْ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: 255].

وتتجلى عظمة القرآن العظيم في عظمة مُنْزَلِهِ ﷺ، ويتضح  
ذلك جلياً في عدة آيات منها:

- قوله تعالى: ﴿الْمُرْ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ ۝ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ [السجدة: 1-3].

(1) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، محمد بن حمد (1/265).

(2) عظمة القرآن الكريم، ص: 60.

- وقوله تعالى: ﴿حَمْدٌ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝﴾ [الجنّة، الأحقاف: 1 - 2].

### 3 - فضل من نزل القرآن:

نوّه الله تعالى بشأن من نزل بالقرآن على رسولنا محمد ﷺ، وهو جبريل عليه السلام، أمين الوحي الإلهي، وذكر فضله في عدة آيات منها:

قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 102].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزَّلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿۱۹۳﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿۱۹۴﴾ [الشعراء: 192 - 194].

وقد وصف الله تعالى جبريل عليه السلام بخمس صفات في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿۱۹﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿۲۰﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: 19 - 21].

وهذه الصفات الخمس تتضمن تزكية سند القرآن العظيم وأنه سماع نبينا محمد ﷺ من جبريل عليه السلام، وسماع جبريل الأمين من رب العالمين، فهاهيك بهذا السند علواً وجلالة<sup>(1)</sup>.

### 4 - القرآن تنزيل رب العالمين:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزَّلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿۱۹۳﴾ [الشعراء: 192 - 193].

(1) عظمة القرآن، ص: 93.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: 1].

- وفيه ضمير العظمة وإسناد الإنزال إليه تشریف عظيم للقرآن<sup>(1)</sup>.
- فمن عظمة القرآن أنه نزل من الله تعالى وحده لا من غيره، لنفع الناس وهدايتهم، فاجتمعت في القرآن العظيم فضائل منها:
- أنه أفضل الكتب السماوية.
- نزل به أفضل الرسل وأقواهم، الأمين على وحي الله تعالى.
- نزل على أفضل الخلق محمد ﷺ.
- نزل لأفضل أمة أخرجت للناس.
- نزل بأفضل الألسنة وأفصحها، وأوسعها، وهو اللسان العربي المبين<sup>(2)</sup>.

## 5 - القرآن مستقيم ليس فيه عوج:

قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عِوَجًا ۖ ۝۱﴾ [الكهف: 1 - 2].

- ونفي العوج عن القرآن له عدة أوجه، منها:
- الأول: نفي التناقض عن آياته، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82].
- الثاني: إن كل ما ذكر الله تعالى في القرآن من التوحيد والنبوة

(1) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (402/30).

(2) تفسير السعدي (485/3).

والأحكام والتكاليف وهو حق وصدق ولا خلل في شيء منه ألبتة<sup>(1)</sup>.

وأخبر تعالى كذلك عن القرآن أنه ليس فيه تضاد، ولا اختلاف ولا عيب من العيوب التي في كلام البشر، فقال تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ [الزمر: 28]، أي: ليس فيه خلل ولا نقص بوجه من الوجوه، لا في ألفاظه، ولا في معانيه، وهذا يستلزم كمال اعتداله واستقامته<sup>(2)</sup>.

فقد وصف الله تعالى كتابه العزيز بأوصاف عظيمة تدل على أنه كامل من جميع الوجوه، وعظيم بكل ما تعبر عنه الكلمات منها:  
- نفى العوج عنه: وهذا يقتضي أنه ليس في أخباره كذب، ولا في أوامره ونواهيه ظلم ولا عبث.

- إثبات أنه مستقيم مقيم: فالقرآن العظيم مستقيم في ذاته، مقيم للنفوس على جادة الصواب وإثبات الاستقامة يقتضي أنه لا يُخْبَرُ ولا يأمر إلا بأجلّ الإخبارات، وهي الأخبار التي تملأ القلوب معرفة وإيماناً وعقلاً، كالأخبار بأسماء الله وصفاته وأفعاله، والإخبار بالغيوب المتقدمة والمتأخرة، وأن أوامره ونواهيه، تزكي النفوس وتطهرها وتنمّيها وتكملها لاشتمالها على كمال العدل والقسط، والإخلاص، والعبودية لله رب العالمين، وحده لا شريك له، فحقيق بكتاب موصوف بما ذُكر، أن يَحمد الله تعالى نفسه على

(1) التفسير الكبير للرازي (64/21).

(2) تفسير ابن كثير (4/53)، تفسير السعدي (1/723 - 724).

إنزاله<sup>(1)</sup>، وينفي العوج عن القرآن الكريم وإثبات استقامته تتجلى عظمته وعلو شأنه، ومنزلته عند الله<sup>(2)</sup>.

## 6 - خشوع الجبال وتصدُّعها:

قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَهُ خَشِيعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: 21] أي: لاتعظ الجبل وتصدع صخره من شدة تأثره من خشية الله، ففي هذا: بيان حقيقة تأثير القرآن وفعاليته في المخلوقات، ولو كانت جبلاً أشم، وحجراً أصم<sup>(3)</sup>، وضرب التصدع مثلاً لشدة الانفعال والتأثر، لأن منتهى تأثر الأجسام الصلبة أن تشق وتصدع ولا يحصل ذلك بسهولة.

والخشوع: هو التطأطؤ والزكوع، أي: لرأيته ينزل أعلاه إلى الأرض.

والتصدع: التشقق، أي لتزلزل وتشقق من خوف الله تعالى<sup>(4)</sup>.

ولا شك أن هذا تعظيم لشأن القرآن، وتمثيل لعلو قدره وشدة تأثيره في النفوس، لما فيه من بالغ المواعظ والزواجر، ولما اشتمل عليه من الوعد الحق والوعيد الأكيد، فإذا كان الجبل في غلظته وقساوته لو فهم هذا القرآن - كما فهمتموه - لخشع وتصدع من خوف الله تعالى، فكيف يليق بكم أيُّها البشر ألاّ تلين قلوبكم وتخشع وتصدع من خشية الله، وقد فهمتم عن الله أمره، وتدبرتم

(1) عظمة القرآن الكريم، ص: 70.

(2) المصدر نفسه، ص: 70.

(3) أضواء البيان (76/8).

(4) التحرير والتنوير (104/28).



كتابه<sup>(1)</sup>، والمقصود من إيراد الآية: إبراز عظمة القرآن الكريم، والحث على تأمل مواعظه الجليلة، إذ لا عذر لأحد في ذلك، وأداء حق الله تعالى في تعظيم كتابه، وتوبيخ من لا يحترم هذا القرآن العظيم، وفيه كذلك تمثيل وتخيل لعلو شأن القرآن وقوة تأثير ما فيه من المواعظ<sup>(2)</sup>.

## 7 - انقياد الجمادات لعظمة القرآن:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ [الرعد: 31].

فهذا شرط جوابه محذوف، والمراد منه: تعظيم شأن القرآن العظيم.

والمعنى: ولو أن قرآنًا سُيرت به الجبال عن مقامها وزُعزعت عن مضاجعها أو قُطعت به الأرض حتى تتصدع وتتزايد قطعاً، أو كُلِّم به الموتى فتسمع وتجبب لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في التخويف<sup>(3)</sup>.

والمقصود: بيان عظم شأن القرآن العظيم، وفساد رأي الكفرة، حيث لم يقدروا قدره العلي، ولم يعدوه من قبيل الآيات فاقترحوا غيره، مما أوتي موسى وعيسى ﷺ. . . فالمعنى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ أي: بإنزاله أو بتلاوته عليها، وزعزعت عن

(1) تفسير ابن كثير (4/ 343 - 344).

(2) تفسير أبي السعود (8/ 233) زاد المسير (8/ 224).

(3) الكشف للزمخشري (2/ 498)، عظمة القرآن، ص: 72.

مقارها كما فعل ذلك بالطور لموسى عليه الصلاة والسلام ﴿أَوْ قُطِعَتْ يَدُ الْأَرْضِ﴾ أي: شقت وجعلت أنهاراً وعيوناً، كما فعل بالحجر حين ضربه ﷺ بعصاه أو جعلت قطعاً متصدعة أو ﴿أَوْ كُلِّمْ يَدُ الْمَوْنِ﴾ أي: بعد ما أحييت بقراءته عليها، كما أحييت لعيسى ﷺ، لكان هذا القرآن لكونه الغاية القصوى في الانطواء على عجائب آثار قدرة الله تعالى وهيبته (1).

### 8 - تحدي الإنس والجن بالقرآن:

من مظاهر عظمة القرآن وعلو شأنه، أن الله تعالى تحدى الإنس والجن أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله أو بسورة مثله (2).

قال تعالى: ﴿قُلْ لِّىنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: 88].

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِنَّمَا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ يَعْلَمُ اللَّهُ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [هود: 13-14].

ومع ذلك كله، ما ثابوا إلى رشدهم، وما وجدوا ما يتكلمون به فعادوا لما نهوا عنه وقالوا: «أختلقه محمد عمداً»، فاستدرجهم الله تعالى من حيث لا يعلمون ووصل بهم إلى غاية التبكيت

(1) تفسير أبي السعود (5/ 21 - 22).

(2) عظمة القرآن الكريم، ص: 73.

والخذلان وتحذاهم أن يأتوا بسورة مثل القرآن فعجزوا.

قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَنَزَّلَهُ قُلٌّ فَأَتَوْا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: 38].

ولما بهت الذين كفروا، ولم يستسلموا صاروا كالذي يتخبطه الشيطان من المس، مرة يقولون استهزاء: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيزُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: 31].

وأخرى يقولون عابثين: ﴿أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾ [يونس: 15].

وصار أمرهم على ما يقول الله العظيم: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِبُّوا يَعْلَمُهُ وَلَمَّا يَأْتِيهِمْ تُأْوِيلُهُ كَذَّابٌ كَذَّابٌ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: 39]<sup>(1)</sup>.

فهذا القرآن العظيم ليس ألفاظاً وعبارات يحاول الإنس والجن أن يحاكوها، كلا وربى، إنه كلام الله تعالى الذي تحدى به الخلق كلهم، فقال نَجْرَجُّكَ من قائل حكيم: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: 88].

فهذا تنويه بشرف القرآن وعظمته وهذه الآية ونحوها تُسمى آيات التحدي، وهو تعجيز الخلق أن يأتوا بمثل هذا القرآن الكريم أو سورة منه<sup>(2)</sup>.

(1) عظمة القرآن الكريم ص: 75.

(2) المصدر نفسه، ص: 76.

وكيف يقدر المخلوق من تراب أن يكون كلامه ككلام رب العالمين، أم كيف يقدر الناقص الفقير من كل الوجوه أن يأتي بكلام ككلام الكامل، الذي له الكمال المطلق، والغنى الواسع من جميع الوجوه، هذا ليس في الإمكان ولا في قدرة الإنسان، وكل من له أدنى ذوق ومعرفة بأنواع الكلام، إذا وزن هذا القرآن العظيم بغيره من كلام البلغاء ظهر له الفرق العظيم<sup>(1)</sup>.

فعظمة القرآن وعلو شأنه لا تجعل للخلق من إنس وجن مطمعاً في الإتيان بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً<sup>(2)</sup>.

### ثانياً: أسماء القرآن الكريم:

للقرآن الكريم أسماء عظيمة من أهمها:

#### 1 - الفرقان:

سمى الله تعالى القرآن فرقاناً في أربع آيات في كتابه المبارك وهي:

- قوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 1].

- وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانُ﴾ [آل عمران: 4].

- وقال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: 185].

(1) عظمة القرآن الكريم، ص: 77.

(2) المصدر نفسه، ص: 77.

- وقال تعالى: ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقَتَهُ لِنَقْرَأُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنُنَزِّلَهُ نَزِيلًا﴾ [الإسراء: 106].

وذكر المفسرون في سبب تسمية القرآن بالفرقان أقوال منها:

- سُمي بذلك لأن نزوله كان متفرقاً أنزله تعالى في نيف وعشرين سنة، في حين أن سائر الكتب نزلت جملة واحدة<sup>(1)</sup>.

- سُمي بذلك، لأنه يفرق بين الحق والباطل، والحلال والحرام، والمجمل والمبين، والخير والشر، والهدى والضلال، والغي والرشاد، والسعادة والشقاوة، والمؤمنين والكافرين والصادقين والكاذبين، والعادلين والظالمين وبه سُمي عمر بن الخطاب رضي الله عنه الفاروق، وقد بين ابن عاشور رحمه الله سبب تسمية القرآن بالفرقان بقوله: ووجه تسميته الفرقان أنه امتاز عن بقية الكتب السماوية بكثرة ما فيه من بيان التفرقة بين الحق والباطل، فإن القرآن يعضد هديه بالدلائل والأمثال ونحوها، وحسبك ما اشتمل عليه من بيان التوحيد وصفات الله مما لا تجد مثله في التوراة والإنجيل، كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11]<sup>(2)</sup>.

وقيل الفرقان هو النجاة، سُمي بذلك، لأن الخلق في ظلمات الضلالات، وبالقرآن وجدوا النجاة وعليه حمل المفسرون قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 53]<sup>(3)</sup>.

(1) عظمة القرآن الكريم، ص: 152.

(2) المصدر نفسه، ص: 153.

(3) المصدر نفسه، ص: 154.

وسواء كانت تسمية القرآن العظيم بالفرقان، لأن نزوله كان متفرقاً في نيف وعشرين سنة بينما سائر كتب الله تعالى نزلت جملة واحدة، أو سُمي بذلك، لأنه يفرق بين الحق والباطل، أو لأن فيه نجاة من ظلمات الضلالات، فهذا الاختلاف في التنوع يدل دلالة صريحة على عظمة القرآن، ورفعة منزلته عند الله تعالى، وعلو شأنه<sup>(1)</sup>.

## 2 - البرهان:

سمى الله القرآن برهاناً في آية واحدة في كتابه العزيز، وهي قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّأُ النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [النساء: 174].

فهذا خطاب لكل أصحاب الملل، اليهود والنصارى والمشركين وغيرهم، أن الله تعالى أقام بهذا القرآن الحجة عليهم تُبرهن لهم بطلان ما هم عليه من الدين المنسوخ، وهذه الحجة تشمل الأدلة العقلية والنقلية والآيات الآفاقية، كما قال تعالى: ﴿سَرُّبِهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: 53].

بل كفى بالقرآن العظيم - وحده - برهاناً على صدق الرسول ﷺ في دعوى الرسالة<sup>(2)</sup>.

(1) عظمة القرآن الكريم، ص: 154.

(2) فتح القدير (1/ 542)، أضواء البيان (7/ 79 - 80).

فالقرآن برهان من الله لعباده، أقام به الحجة عليهم وأظهر من خلاله أوضح الدلالات وأقواها على موضوعاته ومعانيه وحقائقه في العقيدة والحياة وكل من تعامل مع أدلة القرآن في يسرها ووضحها وتأثر قلبه وعقله بها، وقارنها بالأدلة والبراهين والأقيسة أوجدتها العقول البشرية وقررتها وبينتها كل من فعل ذلك يُدرك طرفاً من البرهان القرآني ويسره ووضحه<sup>(1)</sup>.

وتتجلى عظمة القرآن الكريم ومنزلته العالية من خلال تسميته بالبرهان ذلك لأن الله تعالى أقام به الحجة على عباده، تبرهن لهم بطلان ما هم فيه من الدين المنسوخ، وهي حجة متنوعة في الاستدلال لتستوعبها عقول البشر على اختلاف فهمهم وثقافتهم، وهذا من رحمة الله تعالى وحكمته<sup>(2)</sup>.

### 3 - الحق:

سمى الله تعالى القرآن حقاً في مواضع عدة من كتابه، نأخذ منها ما له صلة بموضوعنا وهي:

- قوله تعالى: ﴿وَأَنَّمْ لِحَقِّ الْيَقِينِ﴾ [الحاقة: 51].

أي: وإن القرآن لكونه من عند الله حق فلا ريب فيه ولا يتطرق إليه شك<sup>(3)</sup>.

- وقال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: 18].

(1) مفاتيح للتعامل مع القرآن، ص: 34.

(2) عظمة القرآن الكريم، ص: 156.

(3) فتح القدير للشوكاني (401/5).

والقذف: الرمي، أي نرمي بالحق على الباطل «فيدمغه» أي: يقهره ويهلكه.

وأصل الدمغ: شجُّ الرأس حتى يبلغ الدماغ، ومنه الدامغة، والحق هنا القرآن، والباطل الشيطان في قول مجاهد<sup>(1)</sup>.

- وقال تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: 66].

والضمير في قوله «به» عائد على القرآن الذي فيه تصريف الآيات<sup>(2)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ جملة اعتراضية تتضمن شهادة الله بأن هذا القرآن المنزل على هذا النبي الكريم ﷺ هو الحق من الله<sup>(3)</sup>.

والمعنى ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾ أي: بالقرآن الذي جئتم به، والهدى والبيان، ﴿قَوْمُكَ﴾ يعني قريشاً، ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ أي: الذي ليس وراءه حق، ﴿قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ أي: لست عليكم بحفيظ، ولست بموكل بكم<sup>(4)</sup>.

- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود: 17].

(1) تفسير القرطبي (11/ 295).

(2) تفسير الثعالبي (1/ 529).

(3) أضواء البيان (7/ 246).

(4) تفسير ابن كثير (3/ 315).



- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾ أي: بالقرآن ولم يُصدق بتلك الشواهد الحقة.

- وقوله: ﴿فَلَا تَكُ فِي رَيْبٍ مِّنْهُ﴾ أي: في شك من أمر القرآن وكونه من عند الله عز وجل<sup>(1)</sup>.

وفيه تعريض بغيره ﷺ، لأنه معصوم عن الشك في القرآن<sup>(2)</sup>.

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: القرآن حق من الله تعالى لا مرية ولا شك فيه.

- وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: إما جهلاً منهم وضلالاً، وإما ظلماً وعناداً وبغياً وإلا فمن قصده حسناً، وفهمه مستقيماً، فلا بد أن يؤمن به، لأنه يرى ما يدعوه إلى الإيمان من كل وجه<sup>(3)</sup>.

- وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَـمُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾ [سبا: 48-49].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ أي: وهو الإسلام والقرآن<sup>(4)</sup>، فهذا القرآن العظيم الذي جاء به النبي ﷺ هو الحق: الحق القوي الذي يقذف به الله تعالى، فمن ذا يقف للحق الذي يقذف به الله تعالى؟

(1) تفسير أبي السعود (4/195).

(2) فتح القدير، للشوكاني (2/288).

(3) تفسير السعدي (2/359).

(4) زاد المسير (6/466).

وكأنما الحق قذيفة تصدع وتخرق وتنفذ ولا يقف لها أحد في طريق، يقذف بها الله تعالى علّام الغيوب، فهو يقذف بها عن علم، ويوجهها على علم، ولا يخفى عليه هدف، ولا تغيب عنه غاية، فالطريق أمامه تعالى مكشوف ليس فيه ستور<sup>(1)</sup>.

ومن خلال تسمية القرآن الكريم باسم الحق تبرز عظمته ومنزلته العالية، فلا بد أن يؤمن الناس لهذا الحق الأوحد ويستجيبوا له، لأن مصدره هو الإله الأوحد جلّ جلاله<sup>(2)</sup>.

#### 4 - النبأ العظيم:

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ۖ﴾ (٧٧) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٧٨﴾ [ص:]

[67 - 68].

أي: خبر عظيم وشأن بليغ، وهو إرسال الله إياي إليكم ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ أي: غافلون. في قوله ﴿يَعْرِضُونَ﴾: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ يعني: القرآن<sup>(3)</sup>.

وقال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۚ﴾ (١) عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ [النبا: 1-2].

ولا شك بأن القرآن نبأ عظيم، فمنذ إيجاد البشرية، وتكوينها، ما رأت ولا سمعت بمثل هذا القرآن العظيم فهو عظيم في أسلوبه، وعظيم في روعته، وعظيم في معناه، وعظيم في جمال تركيبه، وعظيم في وعده ووعيده وعظيم في أحكامه، وعظيم في أمره

(1) في ظلال القرآن (5/ 2915).

(2) عظمة القرآن الكريم، ص: 161.

(3) تفسير ابن كثير (4/ 43).

ونهي، وعظيم في أخباره وقصصه وأمثاله<sup>(1)</sup>.

## 5 - البلاغ:

قال تعالى: ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ﴾ [إبراهيم: 52].

فلما بين البيان المبين في هذا القرآن قال في مدحه ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ﴾ أي: يتبلغون به ويتزودون إلى الوصول إلى أعلى المقامات، وأفضل الكرامات لما اشتمل عليه من الأصول والفروع وجميع العلوم التي يحتاجها العباد ﴿وَلِيُنذَرُوا بِهِ﴾ لما فيه من الترهيب من أعمال الشر وما أعد الله لأهلها من العقاب<sup>(2)</sup>.

## 6 - الروح:

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: 52].

والمعنى ﴿وَكَذَلِكَ﴾ حين أوحينا إلى الرسل قبلك ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ وهو: هذا القرآن العظيم، سمّاه روحاً، لأن الروح يحيا به الجسد، والقرآن تحيا به القلوب والأرواح، وتحيا به مصالح الدنيا والدين، لما فيه من الخير الكثير وهو محض منة الله على رسوله وعباده المؤمنين، من غير سبب منهم، ولهذا قال تعالى: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي﴾ أي: قبل نزوله عليك ﴿مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ أي: ليس عندك علم بأخبار الكتب السابقة، ولا إيمان

(1) عظمة القرآن الكريم، ص: 162.

(2) تفسير السعدي (1/428).

وعمل بالشرائع الإلهية بل كنت أُمياً لا تخط ولا تقرأ، فجاءك هذا الروح الذي ﴿جَعَلْتَهُ نُورًا يَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ يستضيئون به في ظلمات الكفر والبدع، والأهواء المردية، ويعرفون به الحقائق، ويهتدون به إلى الصراط المستقيم<sup>(1)</sup>.

## 7 - الموعدة:

قال تعالى: ﴿يَأْتِيَنَّ النَّاسَ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِدَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [يونس: 57].

يعني: القرآن يتعظ به من قرأه وعرف معناه، يا أيها الناس قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية، الكاشفة عن محاسن الأعمال ومقابحها المرغبة في المحاسن والزاجرة عن المقابح.

قد جاءكم كتاب جامع لكل المواعظ أو الوصايا الحسنة التي تُصلح الأخلاق والأعمال وتزجر عن الفواحش، وتشفي الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وتهدي إلى الحق واليقين والصراط المستقيم الموصل إلى سعادة الدنيا والآخرة<sup>(2)</sup>.

فكفى بالقرآن واعظاً، وكفى بالقرآن زاجراً، وكفى بالقرآن هادياً ومذكرًا<sup>(3)</sup>.

## 8 - الشفاء:

سَمَى الله ﷻ القرآن العظيم شفاءً في ثلاثة مواضع من كتابه

(1) تفسير السعدي (4/ 434 - 435).

(2) التفسير المنير في العقيدة والشريعة، وهبة الزحيلي (6/ 213).

(3) عظمة القرآن الكريم، ص: 173.

وهي :

- قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: 57].

أي: دواء للقلوب من أمراضها التي هي أشد من أمراض الأبدان كالشك والنفاق والحسد والحقد وأمثال ذلك<sup>(1)</sup>.

- وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: 82].

فالقرآن كله شفاء ورحمة للمؤمنين<sup>(2)</sup>.

- وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت: 44].

فالقرآن الكريم شفاء من أمراض القلوب والنفوس والجوارح وأمراض السياسة والاقتصاد والحياة والحضارة وغيرها من أمراض العصر، فمن عظمة القرآن الكريم وعلو شأنه وعظمة تأثيره: أن فيه الشفاء الكامل لأمراض الاعتقادات الباطلة، والأخلاق المذمومة، والأمراض الجسدية، وشفائه يمتد كذلك إلى الأمراض المعاصرة المزمنة لو أخذ الناس بتعاليمه وأدويته النافعة فعملوا بها<sup>(3)</sup>.

## 9 - أحسن الحديث:

قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: 23].

(1) روح المعاني (176/11).

(2) عظمة القرآن الكريم، ص: 175.

(3) المصدر نفسه، ص: 176.

يعني أحكم الحديث، وهو القرآن<sup>(1)</sup>.

وأحسن الكتب المنزلة من كلام الله، هذا القرآن وإذا كان هو الأحسن، علم أن ألفاظه أفصح الألفاظ وأوضحها، وأن معانيه أجل المعاني، لأنه أحسن الحديث في لفظه ومعناه متشابه في الحسن والائتلاف وعدم الاختلاف بوجه من الوجوه، حتى إنه كلما تدبره المتدبر، وتفكر فيه المتفكر، رأى من اتفاهه، حتى في معانيه الغامضة ما يبهز الناظرين، ويجزم بأنه لا يصدر إلا من حكيم عليم<sup>(2)</sup>.

وقد سُمي القرآن حديثاً في مواضع كثيرة من كتاب الله تعالى، ومنها:

- قوله تعالى: ﴿فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدُهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 185].

- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَبَحْجُ نَفْسِكَ عَلَىٰ مَآثِرِهِمْ إِن لَّوْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: 6].

- قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ هَذَا الْحَدِيثَ تَعَجُّبُونَ﴾ [النجم: 59].

- قوله تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهِذَا الْحَدِيثِ﴾ [الفلم: 44].

وكون القرآن العظيم أحسن الحديث على الإطلاق، وأحسن الكتب المنزلة من كلام الله تعالى، من حيث فصاحة ألفاظه ووضوحها، وجلالة معانيه وكثرتها ونفعها دل ذلك على عظمته

(1) عظمة القرآن الكريم، ص: 177.

(2) المصدر نفسه، ص: 178.

وعلو شأنه ورفعته<sup>(1)</sup>.

### ثالثاً: أوصاف القرآن الكريم:

ذكر المولى ﷺ أوصافاً عديدة للقرآن الكريم منها:

#### 1 - الحكيم:

وصف الله تبارك وتعالى كتابه بأنه حكيم في عدة آيات منها:

- قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس: 1].

- وقال تعالى: ﴿يَسَّ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ [يس: 1 - 2].

فهذا قسم من الله تعالى بالقرآن الحكيم وقد وصفه بالحكمة وهي وضع كل شيء في موضعه اللائق به والقرآن الحكيم يخاطب كل أحد بما يناسبه ويؤثر فيه كائناً من كان وهذا من مقتضيات أن يكون حكيماً والقرآن الحكيم يُربي أيضاً بحكمة، وفق منهج عقلي ونفسي مستقيم، منهج يوجه طاقات البشر إلى الوجه الصالح القويم ويقرر للحياة كذلك نظاماً يسمح بكل نشاط بشري في حدود ذلك المنهج الحكيم<sup>(2)</sup>.

ومن إحكام آيات القرآن الحكيم:

- أنها جاءت بأجل الألفاظ وأوضحها، وأبينها، الدالة على أجل المعاني وأحسنها.

- أنها محفوظة من التَّغيير والتبديل، والزيادة والنقص والتحريف.

(1) عظمة القرآن الكريم، ص: 179.

(2) في ظلال القرآن (5/ 2958).

- أن جميع ما فيها من الأخبار السابقة واللاحقة، والأمور الغيبية كلها مطابقة للواقع، مطابق لها الواقع، لم يخالفها كتاب من الكتب الإلهية ولم يخبر بخلافها نبي من الأنبياء، ولم يأت ولن يأت علم محسوس ولا معقول صحيح يُناقض ما دلت عليه.

- أنها ما أمرت بشيء، إلا هو خالص المصلحة، أو راجحها، ولا نهت عن شيء، إلا هو خالص المفسدة، أو راجحها، وكثيراً ما يُجمع بين الأمر بالشيء، مع ذكر حكمته وفائدته، والنهي عن الشيء، مع ذكر مضرته.

- أنها جمعت بين الترغيب والترهيب، والوعظ البليغ الذي تعتدل به النفوس الخيرة وتحتكم، فتعمل بالجزم.

- أنك تجد آياتها المتكررة، كالقصص والأحكام ونحوها، قد اتفقت كلها وتواطأت، فليس فيها تناقض ولا اختلاف.

وأنتى للباطل أن يدخل على هذا الكتاب الحكيم، وهو تنزيل من حكيم حميد، والحكمة ظاهرة في بنائه، وتوجيهه، وطريقة نزوله، وفي علاجه للقلب البشري من أقصر طريق<sup>(1)</sup>.

## 2 - العزيز:

قال الله تعالى في وصف القرآن: ﴿وَلَئِنْ لَكُنْتُمْ عَرَبِيًّا﴾ [فصلت: 41].

أي: يصعب مناله ووجود مثله<sup>(2)</sup>.

(1) تفسير السعدي (4/227).

(2) المفردات في ترغيب القرآن، ص: 335 - 336.



والعزيز: النفيس، وأصله من العزة وهي المنعة، لأن الشيء النفيس يُدافع عنه ويُحمى عن النبذ، ومثل ذلك يكون عزيزاً والعزيز أيضاً: الذي يغلب ولا يُغلب، وكذلك حجج القرآن<sup>(1)</sup>.

ووصف تعالى الكتاب بالعزة، لأنه بصحة معانيه ممتنع الطعن فيه والإزراء عليه وهو محفوظ من الله تعالى<sup>(2)</sup>، وجماع أقوال المفسرين في وصف القرآن بأنه «عزيز» ما يلي:

- منيع من الشيطان لا يجد إليه سبيلاً، ولا يستطيع أن يغيره أو يزيد فيه أو ينقص منه.

- كريم على الله، وعزيز على الله، وعزيز من عند الله.

- عديم النظير منيع من الباطل، ومن كل من أراده بتحريف أو سوء.

- يمتنع على الناس أن يقولوا مثله فهو غالب وقاهر والمتأمل في هذه الأقوال يجدها جميعاً تنطبق على «العزيز» وصفاً للقرآن وهي من اختلاف التنوع لا التضاد، تدل على عظمة القرآن وعزته وعلو شأنه ورفعته.

فنحمد الله العزيز الذي أنزل كتاباً عزيزاً: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت: 41] على نبي عزيز ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ﴾ [التوبة: 128].

لأمة عزيزة ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: 8]<sup>(3)</sup>.

(1) عظمة القرآن الكريم.

(2) التحرير والتنوير (71/25).

(3) تفسير ابن عطية (19/5).

## 3 - الكريم:

قال تعالى: ﴿فَلَا أَقْسِ بِمَوْفِعِ الْجُورِ ۖ وَإِنَّهُ لَفَسُّدٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ (٧٦) إِنَّهُ لَفَرَزٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ [الواقعة: 75 - 77].

والكريم: اسم جامع لما يحمد وذلك أن فيه - البيان والهدى والحكمة - وهو مُعَظَّم عند الله ﷻ (1).

## 4 - المجيد:

قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ (٧٨) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٧٩﴾ [البروج: 21 - 22].

وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْوَقْرَانِ الْمَجِيدِ﴾ (٨٠) [ق: 1].

والمعنى: إن هذا القرآن الذي كذبوا به شريف الرتبة في نظمه وأسلوبه حتى بلغ حد الإعجاز، متناه في الشرف والكرم والبركة، وليس هو كما يقولون: إنه شعر وكهانة وسحر، وإنما هو كلام الله المصون عن التغيير والتحريف، المكتوب في اللوح المحفوظ (2).

## 5 - العظيم:

لقد نوه الله تبارك وتعالى بعظمة القرآن، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَتَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (٨٧) لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ ﴿٨٨﴾ [الحجر: 87 - 88].

يقول تعالى لنبيه ﷺ: كما آتيناك القرآن العظيم فلا تنظرن إلى

(1) زاد المسير (8/151).

(2) التفسير المنير (15/545).

الدنيا وزينتها وما متعنا به أهلها، استغن بما آتاك الله من القرآن العظيم، عما فيه من المتاع والزهرة الفانية<sup>(1)</sup>.

فالقرآن هو النعمة العظمى التي كل نعمة وإن عظمت فهي إليها حقيرة ضئيلة فعليك أن تستغني به<sup>(2)</sup>.

## 6 - البشير والنذير:

قال الله تعالى في وصف القرآن العظيم: ﴿كَتَبَ قُصَصَ مَا بَيْنَهُمْ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [فصلت: 3 - 4].

فهذا وصف للقرآن العظيم أنه: يبشر من آمن بالجنة، وينذر من كفر بالنار<sup>(3)</sup>.

## 7 - لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه:

قال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: 42].

فالله ﷻ لم يجعل للباطل مدخلاً على هذا الكتاب العزيز وأتى له أن يدخل عليه وهو صادر من الله الحق العظيم.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82].

(1) عظمة القرآن الكريم، ص: 196.

(2) الكشف للزمخشري (549/2).

(3) تفسير ابن عطية (4/5).

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٧﴾﴾  
 [يونس: 37]<sup>(1)</sup>.

(1) عظمة القرآن الكريم، ص: 199.

## المبحث الثالث: خصائص القرآن الكريم

خصائص القرآن الكريم كثيرة منها:

أولاً: كتاب إلهي:

أولى خصائص القرآن، أنه كتاب الله تعالى، الذي يتضمن كلماته إلى خاتم رسله وأنبيائه محمد ﷺ، فهو إلهي المصدر: مثة في المثة لفظاً ومعنى، أوحاه الله إلى رسوله ونبيه محمد ﷺ عن طريق الوحي الجلي، وهو نزول «الرسول الملكي» جبريل عليه السلام على «الرسول البشري» محمد وليس عن طرق الوحي الأخرى من الإلهام أو النفس في الزرع، ومن الرؤيا الصادقة أو غيرها.

- قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا أُحْكَمَتْ ءَايَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: 1].

- قال سبحانه يخاطب رسوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَىٰ الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: 6].

- وقال تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلُهُ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الإسراء: 105].

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن ينزله منجماً وفقاً للحوادث ليكون أرسخ في مواجهة المحن والشدائد التي تنزل به وبأصحابه، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ۖ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: 32 - 33].

وحكمة أخرى، وهي أن يقرأه الرسول الكريم على المؤمنين به

على مهل، وحيث يستوعبونه حفظاً وفهماً وعملاً، كما قال الله ﷻ: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكَبٍّ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا﴾ [الإسراء: 106].

ولكن القرآن عند الله تعالى كتاب معلوم أوله وآخره، مسجل في أم الكتاب أو اللوح المحفوظ أو الكتاب المكنون، كما صرح بذلك القرآن نفسه: ﴿حَمْدٌ ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُ فِي أُنْزِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٤ [الزخرف: 1 - 4].

وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ۝٦١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٦٢﴾ [البروج: 21 - 22].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝٧٦ فِي كِتَابٍ مَّكُونٍ ۝٧٧ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۝٧٨ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝٧٩﴾ [الواقعة: 77-80].

وأي قارئ للقرآن - له عقل وحس - يستطيع أن يلمس كلاماً بشرياً، وأنه متميز عن كلام الرسول عليه الصلاة والسلام، الذي يتمثل في الحديث النبوي، وإن كان في ذروة البلاغة البشرية، وإن وجود آية قرآنية ضمن حديث نبوي، يجعل لها نوراً خاصاً يحس به من يقرأها أو يسمعها، ويشعر أنها ليست من جنس ما قبلها وما بعدها<sup>(1)</sup>.

ومن روائع ما قال الإمام ابن القيم عن «الخطاب القرآني» قوله

(1) كيف نتعامل مع القرآن الكريم، د. يوسف القرضاوي، ص: 21.

في كتابه «التبيان في أقسام القرآن»: تأمل في خطاب القرآن تجد ملكاً له الملك كله، وله الحمد كله، أزمة الأمور كلها بيده، ومصدرها منه، وموردها إليه، مستوياً على العرش، لا تخفى عليه خافية من أقطار مملكته، عالماً بما في نفوس عبیده، مطلعاً على أسرارهم وعلانياتهم منفرداً بتدبير المملكة، يسمع ويرى، يعطي ويمنع، يثيب ويعاقب، ويكرم ويهين، ويخلق ويرزق، ويميت ويحيي، ويقدر ويقضي، ويدبر الأمور، نازلة من عنده، دقيقة جليها، وصاعدة إليه لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، فتأمل كيف تجده يثني على نفسه ويمجد نفسه ويحمد نفسه، وينصح عباده، ويدلهم على ما فيه سعادتهم وفلاحهم، ويرغبهم فيه، ويحذرهم مما فيه هلاكهم ويتعرف إليهم بأسمائه وصفاته، ويتحبب إليهم بنعمه وآلائه، يذكرهم بنعمهم عليهم، ويأمرهم بما يستوجبون به تمامها، ويحذرهم من نقمه، ويذكرهم بما أعد لهم من الكرامة إن أطاعوه، وما أعد لهم من العقوبة إن عصوه، ويخبرهم بصنعه في أوليائه وأعدائه، وكيف كانت عاقبة هؤلاء وهؤلاء، ويثني على أوليائه لصالح أعمالهم وأحسن أوصافهم، ويدم أعداءه بسيئ أعمالهم وقبيح صفاتهم، ويضرب الأمثال وينوع الأدلة والبراهين، ويجيب على شبه أعدائه أحسن الأجوبة، ويصدق الصادق، ويكذب الكاذب، ويقول الحق ويهدي السبيل، ويدعو إلى دار السلام، ويذكر أوصافهم وحسنها ونعيمها ويحذر من دار البوار، ويذكر عذابها وقبحها وآلامها، ويذكر عباده فقرهم إليه، وشدة حاجتهم إليه من كل وجه، وأنهم لا غنى لهم عنه طرفة عين، ويذكرهم غناه عنهم وعن جميع الموجودات، وأنه

الغني بنفسه عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه<sup>(1)</sup>.

### ثانياً: كتاب محفوظ:

ومن خصائص القرآن: أنه كتاب محفوظ، تولى الله تعالى حفظه بنفسه، ولم يكل حفظه إلى أحد كما فعل مع الكتب المقدسة الأخرى<sup>(2)</sup>.

وقد نوه الله سبحانه بعظمة القرآن بذكر حفظه قبل نزوله في آيات منها:

- ﴿كَلَّا إِنَّمَا لَذِكْرُ﴾ (١١) ﴿فَن شَاءَ ذَكَرُ﴾ (١٢) ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾ (١٣)   
 تَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ (١٤) ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ (١٥) ﴿كَرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ (١٦) ﴿[عبس: 11 - 16].

- وأما حفظ الله تعالى للقرآن أثناء نزوله فيدل عليه قوله تعالى:   
 ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلُ﴾ [الإسراء: 105].

- وأما حفظ الله تعالى للقرآن بعد نزوله فيدل عليه قوله تعالى:   
 ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9].

والصيغة تدل على التأكيد من عدة أوجه يعرفها دارسو العربية، منها: اسمية الجملة وتأكيدها بحرف إن ودخول اللام المؤكدة عن الخبر «لحافظون»<sup>(3)</sup>، ولحفظ الله إياه فقد بقي كما هو: طوداً أشم، عزيزاً لا يُقتحم حماه، وكل محاولة لتغيير حرف منه مقضي عليها

(1) كيف نتعامل مع القرآن الكريم، د. يوسف القرضاوي، ص: 21، نقلاً عن التبيان في أقسام القرآن.

(2) المصدر نفسه، ص: 22.

(3) المصدر نفسه، ص: 24.



بالفشل، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكَنَبُ عَزِيزٌ ۝ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝﴾ [فصلت: 41 - 42].

وقد هيا الله تبارك وتعالى للقرآن العظيم ظروفًا تختلف عن الكتب السابقة فحفظه دونها ومن ذلك:

1 - هيا أمة قوية في ذاكرتها وحافظتها، ذلك أن العرب الأوائل في جاهليتهم كانوا متمكنين من ذلك حيث يروون ألفاً من أبيات الشعر بغير تدوين، إنما يعتمدون في ذلك على الحفظ.

2 - هيا للقرآن العظيم سهولة الحفظ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۝﴾ [القمر: 17].

3 - هيا له أمة مستقرة ممكنة في الحفظ والفهم، والأمانة، فكان الحفاظ يحفظونه على يدي رسول الله ﷺ حتى يُتَقْنُوا الحفظ، ثم يُدَوِّنُونَهُ بعد ذلك، ويقف عليهم بنفسه في مراجعة ذلك.

4 - هيا له مراجعة النبي ﷺ له في المأ الأعلى، حيث كان يحفظ ما يوحى إليه ثم يُراجع على جبريل عليه السلام مرة كل سنة، وفي السنة الأخيرة من حياته المباركة راجع جبريل القرآن كله على رسول الله ﷺ مرتين.

5 - بعد الفراغ من تدوينه لم يُعد هناك مجال لعبث عابث، وظل الحفاظ المتقنون يُراجعون كل نسخة تكتب من المصحف مراجعة فاحصة ولما أصبح للمصحف مطابع خاصة، كُونت لجان متخصصة ومتأهلة من كبار حفاظ العالم الإسلامي تُراجع وتُدقق كل حرف منه قبل أن تأذن بطبعه.

وبهذه الوسائل تحقق للقرآن العظيم ذلك الحفظ الذي قدره الله له منذ الأزل وهو اللوح المحفوظ، وأنجز وعده الصادق: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]<sup>(1)</sup>.

وفي سبك الجملتين من الدلالة على كمال الكبرياء والجلالة وعلى فخامة شأن التنزيل ما لا يخفى<sup>(2)</sup>.

### ثالثاً: معجزة:

ومن خصائص القرآن: الإعجاز، فهو المعجزة الكبرى لمحمد ﷺ التي لم يتحدّ العرب بغيرها، برغم ما ظهر على يديه من معجزات لا تحصى<sup>(3)</sup>.

#### 1 - تعريف المعجزة:

أمر خارق للعادة مقرون بالتحديّ سالم من المعارضة بظهره الله على يد رسله<sup>(4)</sup>.

#### 2 - شروط المعجزة:

ومن خلال التعريف السابق للمعجزة نستطيع أن نتلمس شروطها:

أ - أن تكون من الأمور الخارقة للعادة: مثل عدم إحراق النار

(1) عظمة القرآن الكريم، ص: 109.

(2) المصدر نفسه، ص: 107.

(3) كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ص: 32.

(4) الإتيان في علوم القرآن للسيوطي (3/4)، مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، ص: 14.

لسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وعدم إغراق الماء لموسى عليه السلام وقومه وعدم سيلانه عليهم، ومثل القرآن الكريم.

ب - أن يكون الخارق من صنع الله وإنجازه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [غافر: 78].

ج - سلامتها من المعارضة.

د - أن تقع على مقتضى قول من يدعيها.

هـ - التحدي بها.

و - أن يستشهد بها مدعي الرسالة على الله تعالى.

ز - تأخر الأمر المعجز عن دعوى الرسالة<sup>(1)</sup>.

وقد توافرت هذه الشروط في إعجاز القرآن.

### 3 - القرآن هو المعجزة العظمى:

لما زعم المشركون أن محمداً عليه السلام هو الذي ألف القرآن، قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٤٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٢٤) أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ (الطور: 33 - 35).

ثم تحداهم بعشر سور: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَأَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ

(1) مباحث في إعجاز القرآن، ص: 18.

مِثْلِهِ. مُفْتَرِيتٍ وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾  
فَإِنَّمَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ  
أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ [هود: 13-14].

ثم تحداهم بسورة واحدة ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ  
عَبْدِنَا فَاتَّبِعُوا إِسْرَافِيٍّ مِّن مِّثْلِهِ وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ  
وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: 23 - 24].

وقال تعالى أيضاً: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَاتَّبِعُوا إِسْرَافِيٍّ مِّن مِّثْلِهِ وَأَدْعُوا  
مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس: 38].

فعجز جميع الخلق أن يعارضوا ما جاء به ثم سجل على جميع  
الخلق العجز إلى يوم القيامة بقوله: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَعْتِ الْإِنْسَ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ  
يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾  
[الإسراء: 88].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ما من الأنبياء نبي  
إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته  
وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»<sup>(1)</sup>.

إن معجزات الأنبياء تتماثل من حيث إنها حسية ومخصوصة  
بزمانها، أو بزمان حضرها، أو منقرضة بانقراض من شاهدها.

أما معجزة نبينا محمد ﷺ فهي القرآن الكريم، الذي لم يعط  
أحد مثله، وهو أفيدها وأدومها لاشتيماله على الدعوة والحجة

(1) رواه الشيخان، اللؤلؤ والمرجان، ص: 93.

واستمرار تحديه في أسلوبه وبلاغته ومعانيه وأخباره، وعجز الجن والإنس عن أن يأتوا بسورة مثله مجتمعين أو متفرقين في جميع الأعصار مع اعتناء معارضيه بمعارضته فلم ولن يقدروا، فعم نفعه من حضر ومن غاب، ومن وجد ومن سيوجد إلى آخر الدهر، ولذلك فإن محمداً ﷺ أكثر الأنبياء اتباعاً<sup>(1)</sup>.

هذا شرح للحديث على وجه الإجمال، وأما أسباب اختصاص نبينا محمد ﷺ على سائر الأنبياء بهذه المعجزة الظاهرة، بينها محمود الألوسي فيقول: لثلاثة أسباب صار بها من أخص إعجازه وأظهر آياته:

- إن معجز كل رسول موافق للأغلب من أحوال عصره والشائع المنتشر من ناس دهره،.. فلما بعث نبينا محمد ﷺ في عصر الفصاحة والبلاغة خص بالقرآن في إيجازه وإعجازه، بما عجز عنه الفصحاء وأذن له البلغاء وتبلد فيه الشعراء ليكون العجز عنه أوفر، والتقصير فيه أظهر، فصارت معجزاته وإن اختلفت متشاكلة المعاني مختلفة العلل.

- إن المعجزة في كل يوم بحسب أفهامهم وعلى قدر عقولهم وأذهانهم.. والعرب أصح الناس أفهاماً وأحدهم أذهاناً، فخصوا من معجزات القرآن بما تجول فيه أفهامهم، وتصل إليه أذهانهم<sup>(2)</sup>.

وهذه المعجزة جمعت بين الدليل لما فيه من الإعجاز وغيره من وجوه الدلالة وبين المدلول بما فيه من بيان الإيمان وأدلتة وبيان

(1) رسالة خاتم النبيين محمد، د. ثامر بن ناصر، ص: 155.

(2) المصدر نفسه، ص: 155.

الأحكام الشرعية والقصص والأمثال والوعد والوعيد وغير ذلك من علومه التي لا تنحصر، ثم جعل مع حفظه وتلاوته من أفضل الأعمال التي يتقرب بها إلى الله تعالى.. ولهذا توفرت الدواعي على حفظه على مر الدهور والأعصار، ففي كل قرن ترى من حفظته ما يفوت العد والإحصاء ويستنفذ نجوم السماء، ومثل ذلك لم يتفق لغيره من الكتب الإلهية المقدسة<sup>(1)</sup>.

وفي قوله ﷺ: «فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً» آية من آيات نبوته، كما قال النووي: فإنه أخبر ﷺ بهذا في زمن قلة من المسلمين ثم من الله تعالى وفتح على المسلمين البلاد وبارك فيهم حتى انتهى الأمر واتسع الإسلام في المسلمين إلى هذه الغاية المعروفة، والله الحمد على هذه النعمة وسائر نعمه التي لا تحصى<sup>(2)</sup>.

### توضيح هذا الإعجاز:

- بيان حال محمد ﷺ:

إن وضعه ﷺ من الناحية العلمية معروف عند المشركين فهو:

- بشر مثلهم، وليس من جنس آخر.

- أمي، لا يقرأ ولا يكتب.

- تجاوز الأربعين ولم يكن معروفاً قبل ذلك بالخطابة ولا

بالشعر ولا بالرياسة في مجال الكلام، بل كان يعمل بمجال بعيد

(1) رسالة خاتم النبیین محمد، ص: 155.

(2) شرح مسلم للنووي (2/188).

عن الكلمة وهو التجارة، ولم يُحفظ عنه قبل البعثة أثر يدل على إنشائه لقصيدة أو حتى خطبة نثرية.

- أنه ﷺ أتى بكتاب نسبه إلى الله، أجمع العرب على فصاحته وبلاغته وحسن نظمه واشتماله على علوم شتى وآداب تترى.

- وقوع التحدي بهذا الكتاب:

- أن هذا التحدي قائم في وجه كل معارض للرسول.

- التحدي بأن يأتوا سورة من مثله.

- وللمعارض أن يستعين بمن شاء من أعوان وشهداء سواء

كانوا من الجن أو من الإنس أو من الجن والإنس مجتمعين معاً.

### وجود دواعي التحدي:

- العرب أهل لغة، فصاحة وبلاغة وبيان.

- أن معارضي الرسول أهل عداوة عظيمة له.

- وهم حريصون أشد الحرص على إبطال دعوته بأي وسيلة

ومن أي طريق.

- نتيجة التحدي صدق نبوة محمد ﷺ لأنهم:

عجزوا غاية العجز عن الإتيان بسورة من مثله، ولو كان

عندهم أدنى تأهل وتمكن لفعلوا، ولكنهم لم يقدرُوا، إذ كلام الفقير

الناقص الجاهل لا يكون أبداً مثل كلام الذي له الكمال المطلق،

والغنى المطلق، والقدرة المطلقة، والعلم المطلق، فكما أن الله

ليس كمثله شيء في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فبالضرورة ليس

لكلامه مثيل ولا شبهه، ولا يشبهه كلامه بكلام المخلوقين إلا على من اختل عقله، وغاب فؤاده، وهذا برهان ساطع ودليل قاطع على صحة ما جاء به ﷺ ويبقى على من عجز عن هذا التحدي قراران لا مفر من اتخاذ أحدهما:

- إما أن يؤمن بأن محمداً ﷺ رسول من الله، وأن القرآن حق كلام الله وهذا هو مقتضى العقل وسبيل الفطرة السليمة وطريق الناجين في الدنيا والآخرة.

- وإما أن يعاند وهو يعلم من نفسه أن القرآن حق وهذا سبيل الجاحدين ومقتضى الجهل والعناد وأصحاب النفوس المريضة والقلوب السقيمة، وطريق الخاسرين في الدنيا والآخرة.

وقد كان هذا التحدي سبباً في إسلام الكثيرين، لأن القرآن بهذه الاستشارة للعقول والألباب والقلوب يدعو للتفكير في القرآن بشكل أكبر، ويجعل الإنسان الشاك يتدبر أكثر وأكثر، حتى يصل إلى النهاية المحمودة إذا كان ممن يبحث الحق متجرداً من الهدى<sup>(1)</sup>.

#### 4 - وجوه إعجاز القرآن:

قد كتب العلماء البلغاء قديماً وحديثاً حول «إعجاز القرآن» ووجوه هذا الإعجاز، والفتن في ذلك كتب شتى، فمنهم من عني بإخباره بالغيوب، ومنهم من عني بالنظم والعبارة والأسلوب أو ما يسمى «الإعجاز البياني»، وقد كتب فيه القدماء مثل الباقلاني

(1) رسالة خاتم النبيين محمد، ص: 157.



والرمانى والخطابى والجرجاني والرازي وغيرهم، وكتب فيه المحدثون، مثل: مصطفى صادق الرافعي وسيد قطب في كتابه «التصوير الفني في القرآن» ومثله «مشاهد القيامة في القرآن»، وطبقه في تفسيره «في ظلال القرآن»، وكتاب الدكتور بدوي طبانة «بلاغة القرآن» والدكتور محمد عبد الله دراز «النبأ العظيم»، ومنهم من عني بالإعجاز التشريعي أو الإصلاحي الذي جاء به القرآن كما فعل الشيخ رشيد رضا في كتابه «الوحي المحمدي» حيث جدد التحدي بالقرآن، وبيّن المقاصد التي جاء القرآن ليحققها في الحياة، وأنه يستحيل أن يأتي بها رجل أمي في أمة أمية، وقد فاقت كل ما جاء به الفلاسفة والمصلحون، ومثل ذلك: المقالات التي كتبها العلامة محمد أبو زهرة في مجلة «المسلمون» الشهرية المصرية، تحت عنوان «شريعة القرآن دليل على أنه من الله».

وفي عصرنا ظهر نوع جديد أطلق عليه «الإعجاز العلمي» ويقصد به: ما تضمنه القرآن من إشارات ودلالات على «حقائق علمية» كانت مجهولة للناس في وقت نزول القرآن، وتعتبر سابقة لعصرها ولا تتصور أن تصدر من رسول أمي في بيئة أمية، وفي عالم لا يعرف عن هذه الحقائق شيئاً<sup>(1)</sup>، واشتهر في هذا الميدان كل من الشيخ عبد المجيد الزنداني والدكتور زغلول راغب محمد النجار.

وقد لخص الدكتور زغلول النجار جوانب الإعجاز القرآني فقال: وتتعدد جوانب الإعجاز القرآني: بمعنى عجز البشر عن

(1) كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ص: 34.

الإتيان بشيء مثله بتعدد الزوايا التي ينظر منها إنسان محايد إلى كتاب الله، ومن هذه الجوانب:

- الإعجاز اللغوي، الأدبي، البياني، البلاغي، التنظيمي، اللفظي، والدلالي.

- الإعجاز العقدي «الاعتقادي».

- الإعجاز التعبدية «العبادية».

- الإعجاز الأخلاقي.

- الإعجاز التشريعي.

- الإعجاز التاريخي.

- الإعجاز التربوي.

- الإعجاز النفسي.

- الإعجاز الاقتصادي.

- الإعجاز الإداري.

- الإعجاز النبوي.

- الإعجاز العلمي.

- إعجاز التحدي للإنس والجن مجتمعين أن يأتوا بشيء من

مثله في أسلوبه، أو مضمونه أو محتواه، دون أن يتمكن أحد من ذلك<sup>(1)</sup>.

(1) من آيات الإعجاز العلمي، السماء في القرآن، ص: 12، 13.

### رابعاً: كتاب مبين وميسر:

ومن خصائص القرآن: أنه «كتاب مبين» ميسر الفهم والذكر ومع السمو البلاغي والبياني للقرآن الكريم، فإنه سلسل كالماء العذب الزلال، ميسر لكل من يريد أن يعقل ويذكر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: 17].

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ [مريم: 97].

لقد نوه الله تعالى بشأن القرآن العظيم وأخبر أنه يسره وسهله ليتذكر الخلق ما يحتاجونه من التذكير، ممن هو هدى لهم وإرشاد لمصالحهم الشرعية.

وسبب تيسيره: أنه نزل بأفصح اللغات وأبينها، وجاء على لسان أفضل الرسل ﷺ.

ومعنى تيسيره: يرجع إلى تيسير ما يراد منه، وهو فهم السامع المعاني التي عناها المتكلم به بدون كلفة على هذا السامع ولا إغلاق<sup>(1)</sup>.

وهذا الكتاب مبين لأن الله أنزله لتعقل معانيه، وتفقه أحكامه، وتذكر أسرارهِ وتندبر آياته فهو مبيناً لا غامضاً ولا مغلقاً ولا ملغزاً ولا معقداً.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف:

[2].

(1) عظمة القرآن الكريم، ص: 103.

وقال تعالى: ﴿كَتَبُ فُصِّلَتْ ءَايَتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾  
[فصلت: 3].

وقد وصف الله هذا القرآن بأنه: ﴿نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾  
[المائدة: 15].

وقال تعالى: ﴿هُدًى لِلنَّكَاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾  
[البقرة: 185].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي  
اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [النحل: 64].

وبإلى غير ذلك من الآيات التي استفاضت في هذا المعنى<sup>(1)</sup>.

#### خامساً: القرآن كتاب هداية:

ومن خصائص القرآن الكريم أنه كتاب هداية للعالمين أنزله الله  
ليخرج الناس من الظلمات إلى النور.

1 - قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ  
إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى  
الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 257].

2 - وقال تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ  
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾  
[إبراهيم: 1].

وقد تحقق هذا حينما اهتدى العرب بهداه فخرجوا من

(1) كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ص: 40.

الظلمات إلى النور، ومن التخلف إلى قمة الحضارة والمدنية، ومن الذل والتبعية إلى السيادة والعالمية، ثم أوصلوا هدايته إلى العالم من حولهم بأمانة وتضحية وإخلاص، فإذا بالعالم يكسى بحلة العزة والرفعة والبهاء والجمال وأثبت واقع المسلمين عبر الزمن أنهم أصبحوا بتمسكهم بالقرآن أرقى الأمم، وبتخلفهم عنه وأخذهم بما عند الأمم من ضلال أخس الأمم<sup>(1)</sup>.

3 - وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 9].

يؤكد الله أن هذا القرآن أقوم من أي هداية يراها البشر، ولم يستطع أي باحث موضوعي أن يجد خلافاً في تشريع القرآن، أو أن يجد في التشريع الوضعي ما يصل إلى تشريع القرآن فضلاً عن أن يتفوق عليه، وهذا يوجب على العاقل استدامة القرآن وملازمة العمل به.

إن ما في القرآن من هداية وتشريع صالح لكل زمان ومكان لا تبطل قيمته، بل لا يصلح إلا هو، مهما اختلفت العصور وتنوعت الحضارات إنه تسامى على كل قانون عرفته الأمم قديماً وحديثاً، حتى أقرت المجامع القانونية الدولية الفقه الإسلامي مصدراً أساسياً نقتبس منه القوانين، وإن القوانين الحديثة في تطورها تسامى لتقترب من تشريع القرآن<sup>(2)</sup>.

وكيف لا يكون كذلك وهو تشريع رباني شامل لجميع النواحي، وكافل لإحقاق الحق وصيانة مصالح الناس في جميع

(1) إعجاز القرآن الكريم، د. محمد صادق درويش، ص: 46.

(2) المصدر نفسه، ص: 47.

شؤونهم: المالية والاجتماعية والأسرية والدولية في حين أنه لم يوجد إلى الآن تشريع شامل أو عادل مع ما مرّ على الإنسانية من تجارب وخبرات حتى إن الله تحدّى العالم أن يأتوا بمثل القرآن، والمثلية تشمل جميع جوانب القرآن سواء الألفاظ والمعاني، وإذا عجزوا عما هو من جنس ما يستطيعونه ويتفوقون فيه وهو نظم القرآن، فهم أشدّ عجزاً عن تشريع القرآن وهدايته، لما يحتاجه إلى علم محيط بكل شيء وليس هذا إلا الله عز وجل<sup>(1)</sup>.

4 - وقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 50].

استنكر الله تعالى على من أعرض عن تشريعه ولجأ إلى تشريع الناس وما هذا إلا لأنه لا تشريع أحسن منه، ولا هداية مثله، فكيف يترك إلى ما دونه<sup>(2)</sup>؟

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ ينكر الله تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم، المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به الضلالات والجهالات بما يضعونها بآرائهم وأهوائهم.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أي: ومن أعدل من الله في حكمه، لمن عقل عن الله شرعه، وآمن به وأيقن، وعلم

(1) إعجاز القرآن الكريم، د. محمد درويش، ص: 48.

(2) المصدر نفسه، ص: 48.

أن الله أحكم الحاكمين وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها، فإنه تعالى هو العالم بكل شيء القادر على كل شيء العادل في كل شيء<sup>(1)</sup>.

5 - قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3].

يحشنا الله تعالى في هذه الآية على التمسك بهديه من خلال مدحه دينه بالكمال والتمام، والنفوس تتطلع إلى ما كان كذلك<sup>(2)</sup>.

هذه أكبر نعم الله تعالى عن هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف... فلما أكمل لهم الدين تمت عليهم النعمة ولهذا قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ أي: فارضوه أنتم لأنفسكم، فإنه الدين الذي أحبه الله ورضيه وبعث به أفضل الرسل الكرام، وأنزل به أشرف كتبه<sup>(3)</sup>.

وكمال دينه سبحانه وتماحه بكمال مصدره الأصل: القرآن الكريم، ولهذا لا يملك من يتلو القرآن ويتدبر معانيه إلا أن يختر ساجداً لعظمة منزله.

(1) إعجاز القرآن الكريم، ص: 48، تفسير ابن كثير (68/2).

(2) إعجاز القرآن الكريم، د. محمد درويش ص: 49.

(3) تفسير ابن كثير (13/2).

قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: 21].

### سادساً: كتاب الإنسانية كلها:

ومن خصائص القرآن الكريم أنه كتاب الإنسانية كلها الذي خاطب الله تعالى به جميع البشر إلى يوم القيامة فلم يُقيد بزمان، ولا بمكان، ولا جنس ولا طبقة، بل هو موجه إلى الثقلين، خاطبهم جميعاً بما يسعدهم في الدنيا والآخرة من العقائد الصحيحة والعبادات الحكيمة والأحكام الرفيعة، والأخلاق الفاضلة التي تستقيم بها حياتهم.

ولقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة على عالمية القرآن<sup>(1)</sup>.

ومن الآيات التي صرحت بعالمية القرآن العظيم:

- قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 1].

- وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].

- وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: 89].

(1) عظمة القرآن الكريم، ص: 110.



- وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: 27].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَكَيْتْ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الزمر: 41].

فالقرآن لا يخاطب صنفاً واحداً من البشر له تجاه عقلي أو نفسي معين، مغفلاً عن عداه من الأصناف ذوي الاتجاهات المتعددة كلا، إنه يخاطب كل الأصناف ويشبع كل الاتجاهات الإنسانية السوية، في توازن لا يقدر عليه إلا منزل القرآن وخالق الإنسان<sup>(1)</sup>.

1 - إن طالب الحقيقة العقلية يجد في القرآن ما يرضي منطقته ويأخذ بلبه إذا سمعه يصيح بالعقل أن ينظر ويفكر في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن يعتمد على البرهان وحده في العقلیات.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 111].

وعلى المشاهدة والتجربة في الحسيات، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 185].

وعلى الصدق وتوثيق الرواية في النقليات، قال تعالى:

﴿أَتَتُونِي يَكْتُمُونَ قَبْلَ هَٰذَا أَوْ آتَوْنِي مِن عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأحقاف: 4].

(1) كيف نتعامل مع القرآن العظيم ص: 60.

ويكفي أن مشتقات العقل مثل «يعقلون» و«تعقلون» ذكرت في القرآن ثماني وخمسين مرة، وذكرت مشتقات الفكر سبع عشرة مرة، وذكرت كلمة «الألباب» أي العقول ست عشرة مرة، وهذا غير الآيات التي اشتملت على كلمات ومشتقات آخر مثل: النظر، والاعتبار والتدبر والحجة والبرهان والنهي والحكمة والعلم ونحو ذلك مما يبحث عنه طلاب الحقائق العقلية، فلا يجدونه في كتاب ديني غير القرآن.

2 - والباحث عن «الحقيقة الروحية» يجد في القرآن ما يرضي ذوقه ويغذي وجدانه، ويشبع نهبه وتطلعاته في آفاق الروح، في مثل قصة موسى والعبد الصالح الذي قال الله فيه: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: 65].

يجد الباحث عن «الإيمان» في الخطاب القرآني ما ينشئ الإيمان البصير بالله ورسالاته ولقائه وجزائه، ويطارد الجحود والشك والنفاق، ويقيم الأدلة الناصعة على وجود الله تعالى، وعلى وحدانيته، وعظيم قدرته، وبالغ حكمته وواسع رحمته، وعلى بعثه رسله ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: 165].

وعلى عدالة الجزاء في الآخرة: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَبَجَزَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: 31].

ويجلي له القرآن مصير المؤمنين نجاة وحياة طيبة في الدنيا، وفلاحاً في الآخرة، ومصير المكذابين: شقاء في الدنيا، وعذاباً في العقبى.

الإيمان في القرآن يبنى ولا يهدم، ويجمع ولا يفرق، ويسامح ولا يتعصب، فهو يوجب الإيمان بكل كتاب أنزل، وبكل نبي أرسل، قال تعالى: ﴿كُلُّ ءَامَنٍ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفِرُّ مِنْ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ﴾ [البقرة: 285].

3 - والحريص على «القيم الأخلاقية» يجد في القرآن ضالته وطلبته، وإذا كان موضوع الأخلاق هو «الخير» فالقرآن قد دل على «الخير» كما هدى إلى «الحق» وقد جعل فعل الخير إحدى شعب ثلاثة لمهمة المجتمع المسلم.

قال تعالى: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: 77]. ولكنه لم يكتف من المسلم بفعل الخير، بل طلب أن يدعو إليه ويدل عليه، قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران: 104].

4 - وعاشق القيم الجمالية يجد في القرآن ما ينمي حاسته الجمالية، ويغذي شعوره الفني، وذلك بما لفت إليه القرآن الأنظار من الاستمتاع بجمال الطبيعة في السماء، ﴿وَزَيَّنَّهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الحجر: 16].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ [الملك: 5]. وجمال الطبيعة في الأرض ابتداء من جمال النبات، قال تعالى: ﴿وَأَنْبَتْنَا مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِجٍ﴾ [الحج: 5]. وقال تعالى: ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النمل: 60]. وجمال الحيوانات ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْمَحُونَ وَحِينَ سَرَحُونَ﴾ [النحل: 6].

وجمال الإنسان ﴿وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ [التغابن: 3].  
 وجمال المخلوقات كلها ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾  
 [النمل: 88].

ووراء ذلك كله ما احتواه أسلوب القرآن ذاته من جمال بياني معجز في نظمه ومعناه وفي شكله ومضمونه، وصفه المشركون أنفسهم فقالوا: إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يعلى عليه<sup>(1)</sup>.

### سابعاً: كتاب الزمن كله:

من خصائص القرآن: أنه كتاب الزمن كله، وكتاب الإنسانية كلها وكتاب الدين كله وكتاب الحقيقة كلها، ومعنى أن القرآن كتاب الزمن كله: أنه كتاب الخلود، ليس كتاب عصر معين، أو كتاب جيل أو أجيال، ثم ينتهي أمده، بل القرآن هو الكتاب الباقي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو الكتاب الصالح والمصلح لكل زمان ومكان<sup>(2)</sup>، مهما اختلفت العصور وتنوعت الحضارات، لا تبطل قيمته، بل لا يصلح إلا هو.

إن تعاليم القرآن موجهة للعالم بأسره، فهي للناس في شتى أرجاء العالم كافة، بغض النظر عن أصلهم، أنزلت إليهم لتدخل السرور والبهجة إلى قلوبهم، وتطهر نفوسهم، وتهذب أخلاقهم وتوجه مجتمعاتهم، وتستبدل سطوة القوي بالعدل والأخوة، وقد أكد الله ﷻ أن في القرآن حلوياً لجميع قضايا البشر ﴿وَرَزَّلْنَا عَلَيْكَ

(1) كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ص: 62.

(2) كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ص: 56.

الْكِتَابَ تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهْدَى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ [النحل: 89].

فالقرآن له أعلى حظوة لدى المسلمين، وهو ليس مجرد كتاب صلوات أو أدعية نبوية، أو غذاء للروح أو تساييح روحانية فحسب، بل إنه أيضاً القانون السياسي وكنز العلوم، ومرة الأجيال، إنه سلوى الحاضر، وأمل المستقبل<sup>(1)</sup>.

### ثامناً: نزوله بأرقى اللغات وأجمعها:

لقد اختار الله ﷻ اللغة العربية لتكون آخر كتبه، وهذا الاختيار من الحق ﷻ لهذه اللغة العظيمة إنما يعود إلى ما تمتاز به من مرونة واتساع وقدرة على الاشتقاق، والنحت والتصريف وغنى في المفردات والصيغ والأوزان<sup>(2)</sup>.

فكل دارس للغات العالم يُصرُّ بأن اللغة العربية هي أرقى اللغات وأجمعها للمعاني الكثيرة تحت الألفاظ القليلة وأحسنها تهذيباً، وأكثرها إيضاحاً وبياناً للمطلوب ولذلك أشاد القرآن الكريم بها في عدة آيات منها:

- قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

[الزخرف: 3].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف:

2].

(1) دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، د. محمد عبد الله دراز، ص:

(2) لغة القرآن مكانتها والأخطار التي تهددها، ص: 11، 12، إبراهيم محمد أبو عباة.

لقد أراد الله تعالى أن يكون القرآن كتاباً مخاطباً به كل الأمم في جميع العصور، لذلك جعله بلغة هي أفصح كلام بين لغات البشر وهي اللغة العربية، لأسباب يلوح لي منها، أن تلك اللغة أوفر اللغات مادة، وأقلها حروفاً، وأفصحها لهجة، وأكثرها تصرفاً في الدلالة على أغراض المتكلم، وأوفرها ألفاظاً، وجعله جامعاً لأكثر ما يمكن أن تتحمله اللغة العربية في نظم تراكيبها من المعاني، في أقل ما يسمح به نظم تلك اللغة، فكان قوام أساليبه جارياً على أسلوب الإيجاز، فلذلك كثر فيه ما لم يكثر مثله في كلام بلغاء العرب<sup>(1)</sup>.

**تاسعاً: تصديق القرآن لكتب الله وهيمنته عليها:**

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّئًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: 48].

ومعنى قوله: ﴿وَمُهَيِّئًا عَلَيْهِ﴾ أي: أن القرآن العظيم رقيب على الكتب السابقة، لأنه يشهد بصحتها، ويقرر أصولها، وما يتأبد من فروعها، ويُبَيِّنُ أحكامها المنسوخة بتعيين وقت انتهاء مشروعيها.

أو على معنى أنه أمين عليها، فما أخبر عن صدقه مما ورد فيها صدق وما أخبر بزيفه فهو باطل أو على معنى أنه الحافظ لها، فهو الذي حفظ ما جاء فيها من التوحيد، وكليات الدين إلى يوم القيامة أو على معنى أنه دال على صدقها، أي هو دليل على أنها من عند الله، لأنه جاء كما نعتته هذه الكتب<sup>(2)</sup>.

(1) عظمة القرآن الكريم، ص: 98.

(2) تفسير الطبري (6/ 266 - 267).

وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى، فإن اسم «المهيمن» يتضمن هذا كله، فهو أمين وشاهد، وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم، الذي أنزله آخر الكتب وخاتمتها أشملها وأعظمها وأحكمها، حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره، فلهذا جعله شاهداً، وأميناً، وحاكماً عليها كلها، وتكفل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة.

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

[الحجر: 9].

## 1 - علاقة الهيمنة بالتصديق:

ولا شك أن مفهوم الهيمنة أتم وأشمل من مفهوم التصديق، لأن الهيمنة لا تقتصر على مجرد الشهادة لهذه الكتب بصحة إنزال أصولها وتقرير أصولها وشرائعها، بل تتعدى ذلك فتبين ما اعترأها من نسخ أو تحريف، وما عرض لها من زيف وفساد، فالقرآن بذلك مهيمن على المعاني الصحيحة التي كانت في تلك الكتب، وشاهد بكونها من عند الله، وبذلك تتلاقى الهيمنة مع التصديق ولكنه كذلك يشهد على هذه الكتب بما أصابها من تحريف وتسرب إليها من باطل، وبه تنفرد الهيمنة عن التصديق، فمفهومها إذن أتم، وأشمل من مفهوم التصديق<sup>(1)</sup>.

## 2 - مظاهر هيمنة القرآن على الكتب السابقة:

لهيمنة القرآن العظيم على كتب الله المنزلة قبله - فوق ما تقدم

(1) عظمة القرآن الكريم، ص: 124.

من تصديقه لها - مظاهر متعددة من أهمها ما يلي:

أ - إخباره بتحريف الكتب السابقة وتبديلها:

قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثُمَّ قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: 79].

ب - بيان المسائل الكبرى التي خالفوا فيها الحق:

ففي جانب العقائد على سبيل المثال نفى القرآن العظيم ما صرّحت به الأنابيل المحرفة من قتل عيسى عليه السلام وصلبه.

فقال تعالى: ﴿وَمَا قُلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شِئَهُ لَهُمْ﴾ [النساء:

[157].

وحكم على النصارى بالكفر لقولهم بالتثليث، وألوهية المسيح، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِيْ إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (٧٢) ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٧٣) [المائدة: 72 - 73].

أما التوراة المحرفة فإنها تنسب إلى الله تعالى كثيراً من النقائص والتي جاء القرآن العظيم بدحضها وإبطالها، فلقد أخبر القرآن العظيم أن اليهود نسبوا إلى الله عز وجل الولد، كما وصفه اليهود للنبي ﷺ بالفقر، والبخل وغل اليد.



فبين القرآن الكريم كذبهم وزورهم وبهتانهم.

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّىٰرُ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِي قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَتَنَّا لَهُمُ اللَّهُ أَنْ يُوَفَّقُوا﴾ [التوبة: 30].

- وقال تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُونُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: 181].

- وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعِنَا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: 64] (1).

ج - بين القرآن كثيراً من المسائل التي أخفوها:

فمن ذلك: أن الدارس لأسفار العهد القديم يرى أنها: قد خلت من ذكر اليوم الآخر ونعيمه وجحيمه - وإذا كانت اليهودية في أصلها تقرر البعث، والنشور، والحساب، والجنة والنار، كما ينبئ بذلك القرآن - ذلك يدل على أن اليوم الآخر وما فيه وما يتصل به، من المسائل التي أخفها أهل الكتاب (2).

قال تعالى: ﴿يَتَأَهَّلُ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْقُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: 15] (3).

(1) عظمة القرآن الكريم، ص: 126.

(2) المصدر نفسه، ص: 126.

(3) المصدر نفسه، ص: 126.

## المبحث الرابع: مقاصد القرآن الكريم

دعا القرآن الكريم إلى الكثير من المبادئ والمقاصد التي لا تصلح الإنسانية بغيرها والتي من أهمها:  
**أولاً: تصحيح العقائد والتصورات:**

1 - القرآن العظيم من أوله إلى آخره دعوة إلى التوحيد وإنكار للشرك وبيان لحسن عاقبة المشركين في الدارين وقد اعتبر القرآن الشرك أعظم جريمة يقتربها مخلوق.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: 48].

وإن حقيقة الشرك انحطاط بالإنسان من مرتبة السيادة على الكون - كما أراد الله له - إلى مرتبة العبودية والخضوع للمخلوقات، سواء كانت جماداً أو نباتاً، أو حيواناً، أو إنساناً إلى غير ذلك.

قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآثَنُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْتَنِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: 30 - 31].

والدعوة إلى التوحيد هو المبدأ الأول المشترك بين رسالات النبيين جميعاً، فكل نبي نادى قومه أن ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: 59].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: 36].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25].

فلا مكان للوسطاء بين الله ﷻ وبين خلقه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: 186].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60].

وقد أصلح القرآن هنا ما أفسدته الديانات الوثنية والكتابية المحرفة من عقيدة التوحيد، حتى اليهود جعلت الرب أشبه بالمخلوقين، فهو يتعب ويندم ويخاف، ويصارع إسرائيل فيصرعه إسرائيل، فلا يتمكن من الإفلات منه إلا بوعده بمباركة نسله فأطلق سراحه. والنصرانية، تأثرت بوثنية روما، وطغت عليها الوثنية حتى امتلأت الكنائس بالصور والتماثيل، وأخذت عقيدة التثليث والفداء من عقيدة الهنود في «كرشنة» كل ما فعلوه أنهم حذفوا اسم كرشنة ووضعوا اسم «يسوع»<sup>(1)</sup>.

**ثانياً: تصحيح العقيدة في النبوة والرسالة:**

وذلك بعدة أساليب:

**بيان الحاجة إلى النبوة والرسالة:**

قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ

(1) كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ص: 66.

وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴿البقرة: 213﴾.

وقال تعالى: ﴿لَيْتَ لَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: 165].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [النحل: 64].

### بيان وظائف الرسل في التبشير والإنذار:

قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [النساء: 165].

فليس الرسل آلهة ولا أبناء آلهة، إنما هم بشر يوحى إليهم ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ [الكهف: 110].

يملكون أن يدعوا إلى توحيد الله، ولكن لا يملكون هداية القلوب ولا السيطرة عليها ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۚ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ [الغاشية: 21 - 22].

- تفنيد الشبهات التي أثارها الناس من قديم في وجه الرسل، كقولهم: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ [إبراهيم: 10].

وقولهم: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ [المؤمنون: 24].

فقد رد عليهم القرآن بمثل قوله تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: 11].

ومثل قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَمْسُوكَ مُطْمَئِنِّينَ لَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: 95] <sup>(1)</sup>.

(1) كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ص: 67.

- بيان عاقبة الذين صدقوا المرسلين وعاقبة الذين كذبوا المرسلين، وفي القرآن الكريم ثروة طائلة من قصص الرسل مع أممهم تنتهي دائماً لهلاك المكذبين ونجاة المؤمنين.

قال تعالى: ﴿وَقَوْمٌ ثُوِّجَ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٣٧ وَعَادًا وَثُمُودًا وَأَضْعَبَ الرِّسَّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ۝٣٨﴾ [الفرقان: 37 - 39].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 103].

### ثالثاً: تثبيت عقيدة الإيمان بالآخرة:

ومما عني به القرآن وكرره في سوره المكية والمدنية:  
الإيمان بالآخرة وما فيها من جزاء وحساب وجنة ونار وقد اتخذ القرآن في تثبيت هذه العقيدة وتصحيحها أساليب شتى:  
- فمنها: إقامة الأدلة على إمكان البعث ببيان قدرة الله على إعادة الخلق كما بدأهم أول مرة.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ [الروم: 27].

- ومنها: التنبيه على خلق الأجرام العظيمة التي يعتبر خلق الإنسان بجوارها شيئاً هيناً.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغْنَىٰ بِمَخْلَقِهِنَّ يَقْدِرْ عَلَىٰ أَنْ يُخْجِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُمْ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: 33].

- بيان حكمة الله تعالى في الجزاء حتى لا يستوي المحسن والمسييء، والبر والفاجر في النهاية تكون الحياة عبثاً وباطلاً يتنزه الله تعالى عنه، قال تعالى: ﴿أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: 28].

وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: 115].

وقال تعالى: ﴿أَتَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: 36].

- إبطال الأوهام التي أشاعها الشرك والمشركون من أن ألهتهم المزعومة تشفع لهم عند الله يوم القيامة، وكذلك ما زعمه أهل الكتاب من شفاعة القديسين وغيرهم وهذا ما كذبه القرآن وأبطله أشد الإبطال، فلا شفاعة إلا بإذن الله، ولا شفاعة إلا لمؤمن موحد، ولا ينفع الإنسان إلا سعيه، ولا يحمل وزر غيره ﴿أَلَا نُزِرُ وَرَزَّهُ وَرَزَّ أُخْرَىٰ ﴿٢٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٢٩﴾﴾ [النجم: 38 - 39].

قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: 18].

قال تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفِيعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: 48].

وقال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: 255].

وقال تعالى: ﴿وَجِدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يُظْلَمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: 49].

- بيان ما ينتظر المؤمنين الأبرار في الآخرة من المثوبة والرضوان، وما أعد للكفرة الفجرة من العقاب والخسران، ولهذا كثر حديث القرآن عن القيامة وأهوالها، والكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وعن الميزان الذي توزن به الحسنات والسيئات حتى لا يضيع على الإنسان مثقال حبة من خردل، وعن الحساب الدقيق الذي لا يظلم نفساً شيئاً ولا يحمل وزراً أخرى. وعن الجنة وما فيها من ألوان النعيم المادي والروحي، وعن النار وما فيها من صنوف العذاب الأليم الحسي والمعنوي، ذلك لأن إنسان الآخرة هو امتداد لإنسان الدنيا روح وجسم، فلا بد أن يشمل الثواب أو العقاب كليهما<sup>(1)</sup>.

#### رابعاً: تزكية النفس البشرية:

ومن مقاصد القرآن: الدعوة إلى تزكية النفس البشرية، فلا فلاح في الأولى والآخرة لها إلا بالتزكية، كما قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۖ ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۖ ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۖ ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: 7 - 10].

فالنفس بفطرتها مستعدة للفجور الذي يندسها ويدسيها، استعدادها للتقوى التي تطهرها وتزكيها، وعلى الإنسان بعقله وإرادته أن يختار أي الطريقين: طريق التزكية أو طريق التدسية، ولا ريب أنه إذا اختار طريق التزكية فقد اختار طريق الفلاح، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰ﴾ [الأعلى: 14].

وقال سبحانه فيمن يأتي ربه يوم القيامة: ﴿وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ

(1) كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ص: 68.

عَمِلَ الصَّالِحِينَ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾ [طه: 75 - 76].

ورسالات الأنبياء جميعاً كانت - من مقاصدها - الدعوة إلى التزكية، ولهذا رأينا موسى عليه السلام يقول لفرعون حين أرسل إليه من ربه: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَّا أَنْ تَزَكَّى﴾ ﴿١٨﴾ وأهديك إلى ربك فَتَخْشَى﴾ [النازعات: 18 - 19].

وكان من الشعب الأساسية لرسالة محمد ﷺ: التزكية، كما جاء ذلك في آيات أربع من كتاب الله، منها ما جاء في دعوة إبراهيم وإسماعيل للأمة المسلمة الموعودة: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: 129].

ومنها قوله عز وجل: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مِمَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 151].

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: 164].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: 2].



ولا تتم هذه التزكية إلا بفضل من الله وتوفيقه، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور: 21].

كما لا بد من جهد الإنسان وجهاده، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [فاطر: 18].

وقد بين القرآن الكريم أثر العبادات في هذه التزكية، كتوبه تعالى في أثر الزكاة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: 103].

كما بين أثر الآداب التي حث عليها القرآن في هذه التزكية المنشودة للأنفس، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَحَفَظُوا أَرْوَاحَهُمْ ذَلِكَ أَرْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: 30]. وقال في أدب الاستئذان: ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ازْجِعُوا فَازْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ [النور: 28].

إن الذي لا ريب فيه: إن صلاح الأمم والمجتمعات إنما هو بصلاح أفرادها، وصلاح الأفراد إنما هو بصلاح أنفسهم التي بين جنوبهم، وبعبارة أخرى بتزكية هذه الأنفس حتى تنتقل من «الأنفس الأمارة بالسوء» إلى «الأنفس اللوامة»، ثم «الأنفس المطمئنة»، وهذا يحتاج إلى جهاد لكنه جهاد غير ضائع، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69]<sup>(1)</sup>.

(1) كيف نتعامل مع القرآن الكريم، ص: 85.

## خامساً: عبادة الله وتقواه:

1 - لقد بين القرآن أن المهمة الأولى للإنسان أن يقوم بعبادة الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الزاريات: 56].

فالله تعالى هو خالق الإنسان ورازقه، ومدير أمره، والمنعم عليه بنعم وفيرة لا يمكن للإنسان إحصاؤها، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: 34].

ومن هذه النعم، نعمة الإيجاد، ونعمة الرزق، ونعمة العقل، ونعمة الإرادة، ونعمة القدرة، ونعمة البيان «اللطقي» و«الخطي» ونعمة تسخير الكون للإنسان. وعدد القرآن جملاً من هذه النعم الوفيرة السابعة في عدد من سور القرآن، أظهرها في سورة النحل التي تسمى «سورة النعم»، ومن حق الخالق الرازق المنعم أن يشكر فلا يكفر، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يطاع فلا يعصى، ولا يتأتى ذلك إلا بالعبادة الخالصة له، فالعبادة من حقه وحده جل وعلا، ولذا قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: 21 - 22].

وعند تأمل القرآن الكريم والسنة النبوية وما تحويه من أخبار وأوامر ونواه ووعود ووعيد، نجد أنها كلها تدور حول تقرير ألوهية الله سبحانه وتعالى وعبودية الإنسان له، فإذا كان خلق الإنسان وتسخير الكون له، وإيجاد العقل والقلب والإرادة فيه، وإرسال الرسل وإنزال الكتب وخلق الجنة والنار، وقبل ذلك وبعده ما تقتضيه

صفات الباري - جل وعلا - من كونه في ذاته وأفعاله حكيماً عليماً، خلق كل شيء وقدره تقديرًا، ولم يخلق شيئاً عبثاً، ولم يوجد شيئاً لغير حكمة، وإذا كان القرآن المجيد وما فيه من أخبار وأوامر ووعد ووعيد جاء لأجل هذه المهمة العظيمة، ألا وهي تعبيد الخلق كلهم لله سبحانه، ولذلك جعل الله دائرة العبادة التي خلق الله لها الإنسان، وجعلها غايته في الحياة، ومهمته في الأرض، دائرة رحبة واسعة: أن تشمل شؤون الإنسان كلها، وتستوعب حياته جميعاً، وتستغرق كافة مناشطه وأعماله<sup>(1)</sup>.

فالعبادة في مفهوم الإسلام: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضى: من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة والصيام والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهد على الكفار والمنافقين، والإحسان على الجار واليتامى والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين، والبهائم، والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا لقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف لعذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة<sup>(2)</sup>.

وبهذا التعريف الجامع لا يمكن أن يخرج أي شيء من

(1) العبادة في الإسلام للقرضاوي، ص: 53.

(2) مجموع الفتاوى لابن تيمية (10/150).

نشاطات الإنسان وأعماله سواء إن كان ذلك في العبادة المحضّة أو في المعاملات المشروعة، أو في العادات التي طبع الإنسان على فعلها<sup>(1)</sup>.

ولذلك يحرص المسلم أن تكون حياته كلها عبادة من لحظة التكليف إلى الموت، امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 162].

وهذه العبادات كلها تعد المسلم لتقوى الله، كما جاء في الآية التي ذكرناها: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 21]<sup>(2)</sup>.

2 - تقوى الله: وهي أن يجعل العبد بينه وبين ربه وقاية من غضبه وسخطه وعذابه، وهي أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله<sup>(3)</sup>، وأساس تقوى الله خشية الله وذلك من عمل القلب، ولذا أضافها القرآن إليه وقال: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْكُمْ شَعْرَتَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: 32].

والله تعالى يأمر المؤمنين بالتقوى قبل أوامره سبحانه لتكون حافزاً له على امتثال ما يأمر به، كما في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْزَّيْبُ ءَامِنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ

(1) فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، ص: 185.

(2) كيف نتعامل مع القرآن الكريم، ص: 79.

(3) فقه النصر والتمكين، للصلاحي، ص: 204.

لَكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿ [المائدة: 35] .

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٨﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأحزاب: 70 - 71] .

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ [التوبة: 119] .

وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ [الأنفال: 1] .

ويذكر الله في القرآن التقوى أحياناً قبل النواهي، لتكون دافعاً للانتهاء عنها، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٨﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: 278 - 279] .

بل يقص علينا القرآن أن الرسل جميعاً دعوا أقوامهم إلى تقوى الله، كما نجد في سورة الشعراء نوحاً، وهوداً، وصالحاً ولوطاً، وشعبياً يقول كل منهم لقومه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [آل عمران: 50] .

ولهذا جعل القرآن وصية الله للأولين والآخرين هي التقوى، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: 131] .

ولم يكتف القرآن من المؤمنين بمجرد التقوى، بل قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102]، ومعناه: بذل الجهد واستفراغ الوسع في تقواه <sup>بِرَّوَجَلٍ</sup>، في حدود الطاقة والاستطاعة، كما قال في الآية الأخرى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: 16]، وليست هذه الآية

ناسخة للآية الأخرى، بل مبينة لها: أن تقوى الله حق تقواه انما تطلب في إطار المقدور للمكلف، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

والتقوى لا تعني العصمة من الذنوب، والمتقون ليسوا ملائكة أطيهاراً، ولا أنبياء، بل هم بشر يصيبون ويخطئون، ومزيتهم هي رهافة حسهم، ويقظة ضمائرهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 201].

فإذا ذلت قدم أحدهم إلى المعصية فسرعان ما يثوب إلى رشده ويتوب إلى ربه ويقرع بابه مستغفراً، كما قال تعالى في وصف المتقين من عباده: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 135].

ومن تدبر القرآن وجده قد ربط خيرات الدنيا والآخرة كلها بالتقوى، فمن ثمار التقوى العاجلة والآجلة:

- المخرج من كل ضيق والرزق من حيث لا يحتسب العبد:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 2 - 3].

- السهولة واليسر في كل أمر:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَّهُ مِّنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 4].

- تيسير العلم النافع:

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 282].

- إطلاق نور البصيرة:

قال تعالى: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: 29].

- محبة الله ومحبة ملائكته والقبول في الأرض:

قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾

[آل عمران: 76].

وقال رسول الله ﷺ: «إذا أحب الله العبد قال لجبريل: قد أحبيت فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل عليه السلام، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله قد أحب فلاناً فأحبه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»<sup>(1)</sup>.

- نصرة الله ﷻ وتأييده وتسديده:

وهي المعية المقصودة بقول الله ﷻ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 194].

- البركات من السماء والأرض:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 96].

- البشرية وهي الرؤيا الصالحة وثناء الخلق ومحبتهم:

قال تعالى: ﴿إِلَّا لِمَنَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٦) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (١٦) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي

(1) مسلم، كتاب البر والصلة (4/2030)، رقم 2637.

الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴿[يونس: 62 - 64].

والبشرى هي الحياة الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان في كتابه، وعن النبي ﷺ: الرؤيا الصالحة من الله (1).

وعن أبي ذر قال: قلت لرسول الله ﷺ: «الرجل يعمل لله ويحبه الناس، فقال: تلك عاجل بشرى المؤمن» (2).

- الحفظ من كيد الأعداء ومكرهم:

قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: 120].

- حفظ الذرية الضعاف بعناية الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: 9].

وفي الآية إشارة إلى إرشاد المسلمين الذين يخشون ترك ذرية ضعافاً، إلى التقوى في سائر شؤونهم حتى يحفظ أبنائهم ويدخلوا تحت حفظ الله وعنايته، والآية تشعر بالتهديد بضياح أولادهم إن فقدوا تقوى الله، وإشارة إلى أن تقوى الأصول تحفظ الفروع وأن الرجال الصالحين يحفظون في ذريتهم الضعاف كما في آية ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: 82].

(1) البخاري، كتاب الرؤيا، رقم 6986.

(2) مسلم، كتاب البر والصلة، باب إذا أثنى على الصالح فهي بشرى ولا تضره (2642/



فإن الغلامين حفظا ببركة أبيهما في أنفسهما ومالهما<sup>(1)</sup>.

سبب لقبول الأعمال التي بها سعادة العباد في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 27].

- سبب النجاة من عذاب الدنيا:

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا تُمُودُ فَهَدَيْتَهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاحِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ﴿٨﴾﴾ [فصلت: 17 - 18].

- تكفير السيئات وهو سبب النجاة من النار وعظم الأجر هو

سبب الفوز بدرجة الجنة:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾

[الطلاق: 5].

هم الورثة لجنة الله:

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم:

63].

- يسيرون إلى الجنة ركباناً:

مع أن الله ﷻ يقرب إليهم الجنة تحية لهم ودفعاً لمشقتهم.

قال تعالى: ﴿وَأَرْزَلْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: 31].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَخْرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: 85].

(1) محاسن التأويل للقاسمي (47/5).

- تجمع بين المتحابين من أهلها حين تنقلب كل صدقة ومجبة إلى عداوة ومشقة

قال تعالى: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: 67].

ومن بركة التقوى أن الله ينجي ما قد يعلق بقلوبهم من الضغائن والغل فتزداد مودتهم وتتم محبتهم وصحبهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٩﴾ أَذْخَلُوهَا وَسَلِّمَ ءَامِينَ ﴿٢٠﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: 45 - 47] (1).

دعوة القرآن إلى التقوى تتخذ أساليب شتى من الأمر بها، وبيان آثارها والثناء على أهلها والترغيب في محاسنهم وتجلية فضائلهم والترهيب من تركها والإعراض عنها والإنصاف بأضدادها، حتى يظهر الفرق بين المتقين والفجار، أو بين أهل البر والتقوى وأهل الإثم والعدوان (2).

#### سادساً: إقامة العدل بين الناس:

العدل من الأسس والقيم التي جاءت بها جميع الشرائع السماوية فأنزل الله به كتيبه، وأرسل به رسوله.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: 25]: أي العدل فما من

(1) فقه النصر والتمكين، ص: 209.

(2) كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ص: 82.

كتاب أنزل ولا رسول إلا أمر أمته بالعدل وأوجه عليها، والأهم بين طائع أخذ منه بنصيب وحائد مائل عن العدل والقسط بجهل أو هوى، والرسول ما تزال تجدد ما نسيت الأجيال، وتذكر الناس بما نسوا إلى أن ختمت الرسالات بخاتم الأنبياء محمد ﷺ، ولما كانت هذه الرسالة المحمدية خاتمة الرسالات، والنبى ﷺ خاتم الأنبياء والرسول، وهذه الأمة خاتمة الأمم، والأمة التي جعلها الله شاهدة على الناس وقيمة على البشرية، تبلغها دين الله، وتشهد لها بالإيمان أو عليها بالكفر والعصيان.

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾، فقد كان العدل من أهم ما يجب على هذه الأمة، بل هو من أعظم ما يميزها عن الأمم، ولم يكتف الحق تبارك وتعالى بإيجاب العدل على هذه الأمة، بل أراد منها أن تجعله خلقاً من أخلاقها، وصفة من صفاتها، وصبغة تصبغ بها من دون الناس، فأمرها أن تكون قائمة بالعدل بل قوامه به بين الناس، لله ﷻ، لا لأي شيء آخر فلا تحابي فيه قريباً لقربته ولا تضار عدواً لعداوته.

قال تعالى: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَاؤُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّهُ بَكْرٌ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 8].

فالعدل الذي أمر به الله ﷻ في القرآن الكريم حق لكل الناس جميع الناس، لا عدل بين المسلمين بعضهم وبعض فحسب، ولا عدلاً مع أهل الكتاب دون سائر الناس، وإنما هو لكل إنسان

بوصفه «إنسان» فهذه الصفة - صفة الناس - هي التي يترتب عليها حق العدل في المنهج الرباني، وهذه الصفة التي يلتقي عليها البشر جميعاً مؤمنين وكفاراً، أصدقاء وأعداء، سوداً وبيضاً عرباً وعجماً، والأمة المسلمة قيمة على الحكم بين الناس بالعدل - متى حكمت أمرهم<sup>(1)</sup> فالعدل من مقاصد القرآن الكريم - وأوجبه الله على المؤمنين به ولو كان مراغمة لعواطف البغض والعداوة، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾، وهو كذلك واجب ولو كان فيه مراغمة لكافة عواطف الحب والمودة والقرابة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: 135].

والأمة مأمورة بأن تقوم بالعدل والقسط والشهادة لله وليس لأحد سواه، وأن يكون ذلك منهم بدافع التقوى والخوف من الله ﷻ حتى يصبح الجميع أمام العدل سواء بدون اعتبار لدوافع الحب والولاء والقرابة، أو البغضاء والشناَن والعداوة، لأنها إنما تقوم بالعدل والقسط بين الناس لله وبأمر الله، والعدل بهذه الصورة الشاملة، لم تعرفه البشرية قط إلا على يد هذه الأمة ولم تنعم به البشرية قط إلا تحت حكم الأمة المسلمة<sup>(2)</sup>.

### سابعاً: الشورى:

من مقاصد القرآن الكريم تحقيق ممارسة الشورى بين الناس:

1 - قال تعالى: ﴿هَٰذَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَنَعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ

(1) انظر: ظلال القرآن (2/ 414).

(2) الوسطية في القرآن الكريم، للصّلابي، ص: 94.

خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ  
وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا عَصَبُوا لَهُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ  
وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ [الشورى: 36 - 38].

وهناك دلالات لطيفة لقيمة الشورى في الإسلام، في ضوء تفسير هذه الآية منها ما يلي:

فالآية وردت في سورة تحمل اسم الشورى وهي «سورة الشورى»، وتسمية إحدى سور القرآن الكريم باسم الشورى هو في حد ذاته تشريف لأمر الشورى وتنويه بأهميتها ومنزلتها.

وجاءت الشورى في هذه الآية وصفاً تقريرياً، ضمن صفات أساسية لجماعة المؤمنين المسلمين، فهم بعد إيمانهم متوكلون على ربهم، مجتنبون لكبائر الآثام والفواحش، مستجيبون لأمر ربهم، مقيمون لصلاتهم، وأمرهم شورى بينهم ويزكون أموالهم وينفقون منها في سبيل الله<sup>(1)</sup>.

وهي آية مكية مما يدل على أن الشورى في الإسلام ممارسة اجتماعية قبل أن تكون من الأحكام السلطانية، وهي تصف حال المسلمين في كل زمان ومكان، فهي ليست طارئة ولا مرحلية، ولقد جعل الله سبحانه احترام الشورى من أئمن خصال المؤمنين وصفاتهم.

وهي تجعل جميع المسلمين فيما لم ينزل فيه وحي، شورى بينهم، فهي حق لهم جميعاً، إلا ما كان من شأن أهل العلم والتخصص، فإن المؤمنين يحملهم إيمانهم أن يردوا ما أشكل عليهم

(1) الشورى في معركة البناء، ص: 21، أحمد الريسوني.

إلى من يعلم كيف يستنبط الأحكام من النصوص (1).

وقد انتبه عدد من العلماء إلى وقوع هذه الآية الكريمة ﴿وَأْمُرُهُمْ سُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾، كصفة من ضمن صفات تعدد من المقومات والأركان الأساسية في الدين، وهو ما يعني أنها واحدة من تلك الفرائض والأركان.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ يدل على جلاله موقع المشورة لذكره لها مع الإيمان وإقامة الصلاة ويدل على أنهم مأمورون بها.

2 - وقال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْمُرْ بِالْعِلَّةِ لَفَنَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159].

وهذه الآية جاءت خطاباً لرسول الله ﷺ بصفته داعياً وهادياً ومرشداً ومريئاً، وأميراً وقائداً وهذا ما يقتضيه أن يكون رفيقاً بالناس متلطفاً معهم رحيماً لهم عفواً عنهم، متسامحاً معهم، بل مستغفراً لهم في أخطائهم وذنوبهم ومستشيراً لهم مراعيّاً لأرائهم، وهذا الأمر لرسول الله ﷺ من الله بمشاورة أصحابه هو أمر لكل من يقوم مقامه من الدعاة والقادة والأمراء، بل إن العلماء والمفسرين يعتبرون أن هؤلاء مأمورون من باب أولى وأحرى، فهم الأحوج إلى هذا الأمر وبفارق كبير جداً عن رسول الله، ومن هنا عُدَّت هذه الآية قاعدة

(1) الشورى مراجعات في الفقه والسياسة، د. أحمد الإمام، ص: 15.

كبرى في الحكم والإمارة وعلاقة الحاكم بالمحكوم، فالشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام ومن لا يستشير أهل العلم والدين - وأهل التخصص في فنون العلوم - فعزله واجب وهذا ما لا خلاف فيه<sup>(1)</sup>.

إن الشورى مقصد من المقاصد الإسلامية، وجزء من الشريعة الإسلامية.

### ثامناً: الحرية:

من مقاصد القرآن الكريم، إبطال عبودية البشر للبشر وتعميم الحرية، لكل الناس ومن قواعد الفقه قول الفقهاء: الشارع متشوف للحرية، فذلك استقراؤه من تصرفات الشريعة التي دلت على أن من أهم مقاصدها إبطال العبودية وتعميم الحرية، ولكن دأب الشريعة في رعي المصالح المشتركة وحفظ النظام العام وقف بها عن إبطال العبودية بوجه عام وتعويضها بالحرية، وإطلاق العبيد من ربطة العبودية، وإبطال أسباب تجدد العبودية، مع أن ذلك يخدم مقصدها، كان ذلك التوقف من أجل أن نظام المجتمعات في كل قطر قائم على نظام الرق، فكان العبيد عمال في الحقول، وخدمة في المنازل والغروس، ورعاة في الأنعام. وكانت الإماء حلائل لسادتهن، وخادمات في منازلهم، ودايات لأبنائهم، فكان الرقيق «لذلك» من أكبر الجماعات التي أقيم عليها النظام العائلي والاقتصادي «والاجتماعي» لدى الأمم حين طرقتهم دعوة الإسلام، فلو جاء الإسلام بقلب ذلك النظام رأساً على عقب لا نفرط عقد

(1) الشورى فريضة إسلامية، للصلابي، ص: 24.

نظام المدينة انفرطاً تعسر معه عودة انتظامه، فهذا موجب إحجام الشريعة عن إبطال الرق الموجود، وأما إحجامها عن إبطال تجدد سبب الاسترقاق الذي هو الأسر في الحروب، فلأن الأمم التي سبقت ظهور الإسلام قد تمتعت باسترقاق من وقع في أسرها وخضع إلى قوتها وكان من أكبر مقاصد سياسة الإسلام إيقاف غلواء تلك الأمم والانتصاف للضعفاء من الأقوياء، وذلك ببسط جناح سلطة الإسلام على العالم وبانتشار أتباعه في الأقطار، فلو أن الأمم التي استقرت لها سيادة العالم من قبل أمنت عواقب الحروب الإسلامية - وأخطر تلك العواقب في نفوس الأمم السائدة الأسر والاستعباد والسبي - لما ترددت الأمم من العرب وغيرهم في التصميم على رفض إجابة الدعوة الإسلامية اتكالاً على الكثرة والقوة، وأمناً من وصمة الأسر والاستعباد<sup>(1)</sup>، كما قال صفوان ابن أمية في مثله: لأن تربني قريش خير من أن تربني هوازن.

وكما قال النابغة:

حذاراً على أن لا تنال مقادتي ولا نسوقي حتى يمتن حرائراً<sup>(2)</sup>

فنظر الإسلام إلى طريق بين مقصدي - نشر الحرية وحفظ نظام العالم - بأن سلط عوامل الحرية على عوامل العبودية مقاومة لها لتقليلها وعلاجاً للباقي منها، وذلك بإبطال أسباب كثيرة من أسباب الاسترقاق وقصره على سبب الأسر خاصة، فأبطل الاسترقاق الاختياري وهو بيع المرء نفسه، أو بيع كبير العائلة بعض أبنائها، وقد كان ذلك شائعاً في

(1) مقاصد الشريعة الإسلامية، الشيخ محمد الطاهر، ص: 392.

(2) مقاصد الشريعة الإسلامية، الطاهر بن عاشور، ص: 393.



الشرائع، وأبطل الاسترقاق لأجل الجناية بأن يحكم على الجاني ببقائه عبداً للمجني عليه، وقد حكى القرآن عن حالة مصر: ﴿قَالُوا جَزَاءُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاءُ﴾ [يوسف: 75].

وقال: ﴿كَذَلِكَ كَذَبْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ [يوسف: 76].

وأبطل الاسترقاق في الدين الذي كان شرعاً للرومان، وكان أيضاً من شريعة سولون في اليونان من قبل، وأبطل الاسترقاق في الفتن والحروب الداخلية الواقعة بين المسلمين، وأبطل استرقاق السائبة، كما استرقت السيارة يوسف إذ وجدوه.

ثم إن الإسلام التفت إلى علاج الرق الموجود والذي يوجد بروافع ترفع ضرر الرق، وذلك بتقليله عن طريق تكثير أسباب رفعه، وبتخفيف آثار حالته، وذلك بتعديل تصرف المالكين في عبيدهم الذي كان مالكة معنتاً<sup>(1)</sup>.

ومن منافذ الحرية للأرقاء التي فتحها الإسلام:

1 - جعل الإسلام تحرير الأرقاء إلى الله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقْبَةُ﴾ [البلد: 12].

2 - كفارة يمين الحانث: إطعام عشرة مساكين، أو تحرير رقبة.

3 - كفارة الظهار لمن أراد أن يرجع زوجته بدايته تحرير رقبة، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ

(1) مقاصد الشريعة، ص: 393.

رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسًا ذَلِكَو تُوَعِّظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿المجادلة: 3﴾.

- 4 - من أفطر في نهار رمضان: فعليه كفارة منها تحرير رقبة.  
5 - ملك اليمين إذا أنجبت من سيدها، تسمى «أم ولد» إذا مات سيدها قبلها صارت حرة.

6 - المكاتبه: أن يتفق العبد مع سيده على مبلغ من المال يدفعه أو يقوم بعمل يصير بعده حراً، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور: 33].

- 7 - العبد الذي يملكه اثنان أو جماعة، فإذا حرر واحد منهم نصيبه امتنع أن يباع العبد.

8 - تحرير الأرقاء مصرف من مصارف الزكاة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالسَّكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَنَمِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَآلِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 60].

لقد انقرض الرق أمام أبواب الحرية التي فتحتها الإسلام ولم يكن الإسلام أول من أباح الرق، بل كان أول من حرر الأرقاء بأسلوب منطقي، بأسلوب الترغيب تارة وبأسلوب التهيب تارة أخرى عن طريق الكفارات كما رأينا<sup>(1)</sup>.

(1) حقوق الإنسان في الإسلام، د. مبارك سيف الهاجري وعبد المنعم حسين العمري،

لقد قتل الإسلام مشاعر الإحساس بالعبودية بأن ترفع عن نداء العبد بكلمة عبدي، وإنما بأسلوب أرقى وهو كلمة غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي، قال ﷺ: «لا يقولون أحدكم عبدي وأمتي، وليقل فاني وفتاتي، ولا يقل أحدكم ربي، وليقل سيدي»<sup>(1)</sup>.

وقد نهى النبي ﷺ عن التشديد في الخدمة، ففي الحديث: «لا يكلفه من العمل ما يغلبه، فإن كلفه فليعنه»، والأمر بكفاية مؤنتهم وكسوتهم، ففي حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ: «عبيدكم خولكم إنما هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن جعل أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس»<sup>(2)</sup> ونهى عن ضربهم الضرب الخارج عن الحد اللازم، فإذا مثل الرجل بعبده عتق عليه»<sup>(3)</sup>.

فمن استقراء هذه التصرفات ونحوها حصل لنا بأن الشريعة قاصدة بث الحرية والقضاء على العبودية للمخلوق.

والقرآن الكريم من مقاصده، ترك الخيار لكافة الناس في اختيار المعتقد بعد تبين الرشد من الغي، وترك لهم كذلك حرية التفكير، وحرية التعبير، وإليك الشرح:

1 - حرية الاعتقادات: أسسها الإسلام بإبطال المعتقدات الضالة التي أكره دعاة الضلالة أتباعهم ومريديهم على اعتقادها بدون فهم ولا هدى، ولا كتاب منير، وبالدعاء إلى إقامة البراهين على

(1) البخاري رقم 2552، مسلم رقم 2249.

(2) مقاصد الشريعة، محمد الطاهر بن عاشور، ص: 395.

(3) المصدر نفسه ص: 395.

العقيدة الحقّة، ثم بالأمر بحسن مجادلة المخالفين وردهم إلى الحق بالكلمة والموعظة وأحسن الجدل، ثم بنفي الإكراه في الدين<sup>(1)</sup>.

قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة:

256].

ولو أراد الخالق جلّت قدرته لدخل جميع من على الأرض من الناس دين الإسلام، ولكن له حكمة في إعطاء الناس الحرية فيما يختارون وما يسلكون من طريق، حيث قال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 99].

ولا شك أن الإنسان بما وهبه الله من عقل وسمع وبصر قادر على التمييز بين الحق والباطل حتى يستطيع اختيار الطريق الصحيح، قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِنَّا شَاكِرًا وَإِنَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان: 2 - 3].

وتكرر الآيات القرآنية في أكثر من سورة حول حرية الاعتقاد وعدم إجبار من لم يقتنع بالإسلام على اعتناقه، فيخاطب الله تبارك وتعالى نبيه محمد عليه الصلاة والسلام قائلاً: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَزُفَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: 29].

- وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: 107].

- وقال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: 48].

(1) مقاصد الشريعة، محمد الطاهر بن عاشور، ص: 396.

- وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۚ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ [الغاشية: 21 - 22].

- وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: 80].

والدين الإسلامي الحنيف ليس دين قمع وإكراه، بل دين يسر يقوم على مبدأ وسائل الإقناع والتزام جادة العقل من خلال منهج الحوار البناء والتعبير الحر والجدال الموضوعي المنطقي في النقاش البعيد عن المهاترات وإثارة الفتن، والشرعية الإسلامية تشدد وتؤكد على قدسية هذا المنهج، لذا نجد أن الخالق يأمر رسوله محمداً ﷺ بأن يدعو الناس إلى دين الإسلام بالحكمة وبخاطبه قائلاً: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125].

- وفي مجادلة أهل الكتاب يقول مخاطباً المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 46]<sup>(1)</sup>.

2 - حرية التعبير: «الأقوال»: فهي التصريح بالرأي والاعتقاد في منطقة الإذن الشرعي، وقد أمر الله ببعضها في قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104].

- وقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

(1) حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، د. صالح عبد الله الراجحي، ص: 111.

وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴿آل عمران: 110﴾.

- وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: 71].

وقال تعالى: ﴿يَبْنِيْ أَيْمَنَ الصُّلُوَّةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: 17].

وقد جاء التوجيه القرآني الكريم بالتزام القول الحسن، وترك ما عداه مما لا فائدة منه، أو مما فيه مضرة في الدين أو في العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع المسلم، وقد حدّد القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ضوابط الكلام، وأدابه تحديداً دقيقاً، وواضحاً نجمل شيئاً منه فيما يلي:

1 - الضوابط المتعلقة باللفظ في مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَعَيْنَا وَقُولُوا أَنْظَرْنَا وَأَسْمِعُوا وَلِكُلِّ شَيْءٍ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: 104].

2 - الضوابط المتعلقة بالمضمون في مثل قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾ [الأعراف: 33].

3 - الضوابط المتعلقة بالهدف والأسلوب في مثل قوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: 70].

4 - الضوابط المتعلقة بالتوقف والتثبت من المصدر في مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى

الرَّسُولَ وَالَّتِ أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّهُ الَّذِينَ يَسْتَنِيظُونَ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا [النساء: 83].

والآية الأخيرة: إنكار على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها فيخبر بها ويفشيها وينشرها، وقد لا يكون لها صحة، وقد قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع»<sup>(1)</sup>، وعن المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ: نهى عن قيل وقال<sup>(2)</sup>، الذي يكثر من الحديث عما يقول الناس من غير تثبيت، ولا تدبر، ولا تبين<sup>(3)</sup>.

5 - كما حرم الله ورسوله الكذب والغيبة والنميمة وشهادة الزور والسب والشتم والقذف في أدلة ظاهرة معلومة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة<sup>(4)</sup>.

### حرية الفكر:

لم يترك القرآن الكريم أسلوباً نفسياً أو واقعياً إلا واتبعه من أجل حث الإنسان على التفكير واستعمال عقله بصورة واضحة جلية، وإليك أخي القارئ الكريم البيان:

أ - طلب القرآن الكريم من الناس أن يستعملوا عقولهم ويفكروا، ولنستمع لهذه الآيات في الإيمان ورسوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطِيكُمْ بِوَحْدِهِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَتَىٰ وَفُرَدَىٰ ثُمَّ تَنَفَّكُوا﴾ [سبا: 46].

(1) صحيح مسلم رقم 7 (1/31).

(2) صحيح مسلم رقم 4458.

(3) تفسير ابن كثير (1/529)، حرية التعبير، محمد بن محمد الخرعان، ص: 45.

(4) حرية التعبير، د. محمد الخرعان، ص: 46.

وفي تفسير طبيعة الرسالة وشخصية الرسول يقول تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنِّي أَنْتَحِي إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: 50].

وفي لفت النظر إلى أسرار التشريعات المختلفة عبادية أو اجتماعية، يقول تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا آكَبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَوْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: 219].

وفي إشعار الإنسان بأن هذا الكون كله خلق لارتفاقه ويسر بره وبحره وعلوه وسفله له<sup>(1)</sup>، يقول تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحج: 13].

ب - طلب القرآن الكريم من البشر أن يستعملوا عقولهم فيما تراه عيونهم ببساطة من ظواهر يومية، ويفكروا فيها، وفي سبب وكيفية وجودها، وذلك حتى يعرفوا أن هنالك سبباً، وهناك علاقة بين كل ما يتضمنه هذا الكون الذي ترتيبه بإحكام ودقة، وفي النظر في السماوات وما حوته، وفي الأرض وما عليها، يقول تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: 101].

(1) حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، محمد الغزالي، ص: 80 - 71، حقوق الإنسان، د. هاني الطعيمات، ص: 154.



وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الروم: 8].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿١٠﴾﴾ [الغاشية: 17 - 20].

وفي النظر في أصل نشأة الإنسان وخلقته يقول تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾﴾ [الطارق: 5 - 7].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: 77].

ج - وحتى يحفز القرآن الكريم العقل الإنساني للتفكير هاجم الذين يلغون عقولهم وتفكيرهم، ونعى عليهم هذه الطريقة في الحياة التي تجعلهم كالدواب، ذلك أن العقل الإنساني ومملكة التفكير هي التي تميز الإنسان من الحيوان، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْإِنسِ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَفْئَادٌ لَا يَشْعُرُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْفَافِقُونَ﴾ [الأعراف: 179].

د - نبه القرآن الكريم إلى العوائق الواقعية التي تعطل التفكير، وطلب إزالتها حتى لا تقف بوجه العقل الإنساني والتفكير الصحيح، فرفض التبعية الفكرية والإيحاء الفكري المتوارث عائلياً واجتماعياً، فأكد بذلك شخصية كل فرد واستقلالته الفكرية.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفْقَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءُنَا أُولُو كَاثَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَفْقَهُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 170].

وقال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى أَثَرٍ وَإِنَّا عَلَى ءَآثَرِهِمْ مُتَّبِعُونَ ﴿٢٣﴾ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى أَثَرٍ وَإِنَّا عَلَى ءَآثَرِهِمْ مُتَّقِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الزخرف: 22 - 23].

فالمترفون عادة لا يريدون التفكير في الأسس الاجتماعية والاقتصادية والعقائدية لأنهم طبقة مستفيدة من الوضع القائم، فهي لا تريد حتى التفكير في وضع جديد<sup>(1)</sup>.

كما نبه القرآن الكريم إلى عائق آخر ذو تأثير عملي، فقال وهو الطاعة العمياء بلا فكر لأصحاب الجاه والسلطان قال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ [الأحزاب: 67].

2 - واستعمل القرآن الكريم أسلوب المقارنة الفكرية بين الشيء وضده لينشط العملية الفكرية، وليخلق ملكة المقارنة ويطور المقدرة على التفكير بشكل صحيح<sup>(2)</sup>.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَةُ وَالنُّورُ﴾ [الرعد: 16].

- وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً

(1) حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، ص: 155.

(2) حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، ص: 155.

كَسَجَرَفَ طَيْبَةٍ أَصْلُهَا نَائِيٌّ وَقَرَعَهَا فِي السَّمَاءِ ﴿١٦﴾ تَوَقَّ أَكْلَهَا كُلَّ  
 حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَمَثَلُ  
 كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَسَجَرَفٍ خَبِيثَةٍ أَجْتَنَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ  
 ﴿١٨﴾ [إبراهيم: 24 - 26].

- وأفرد القرآن الكريم مكانة خاصة للذين يفكرون ويتعمقون  
 في التفكير ويصبح تفكيرهم علماً نافعاً للإنسان في هذه الحياة،  
 ويميزهم عن غيرهم وما ذلك إلا مرحلة أخرى متقدمة من كيفية  
 طلب التفكير وضرورته واحترام العقل الإنساني ودفعه نحو أرقى  
 مراحل العلم، قال ﷺ: «يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ  
 دَرَجَاتٍ» [المجادلة: 11].

وبهذا يكون المنهج القرآني وضع حرية التفكير في الاتجاه  
 السليم والمنطق الصحيح، فليس فيها أوهام وخرافات وليس فيها  
 جمود ولا تقليد وإنما هي دعوة لتكريم العقل الإنساني وتحريره من  
 ربة البلادة والخمول وتنبيهه إلى أداء مهمته في البحث والتفكير<sup>(1)</sup>.

ولقد ظهرت حرية العلم والتعليم والتأليف والتفكير في أجمل  
 مظهر في القرون الثلاث الأولى من تاريخ الإسلام، إذ نشر العلماء  
 فتاواهم ومذاهبهم وعلمهم واحتج كل فريق لرأيه، ولم يكن ذلك  
 موجباً للمناوأة ولا لحزازات، وقد قال رسول الله ﷺ: «نُضِرَ اللَّهُ

(1) حقوق الإنسان وحرياته، ص: 156.

امرىء سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها، فربّ حامل فقه إلى ما هو أفقه منه، وربّ حامل فقه إلى ما ليس بفقيه<sup>(1)</sup>.

وهذا هو المقام الذي تحقق فيه مالك بن أنس حين قال له أبو جعفر الخليفة: إني عزمت أن أكتب كتبك «يعني الموطأ» نسخاً ثم أبعث إلى كل مصر من الأمصار نسخة، وأمرهم أن يعملوا بما فيها، ولا يتعدوها إلى غيرها.

فقال الإمام: لا تفعل يا أمير فإن الناس قد سبقت لهم أقاويل وسمعوا أحاديث، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم من اختلاف أصحاب رسول الله وغيرهم وإن ردهم عن ذلك شديد، فدع الناس وما هم عليه<sup>(2)</sup>.

4 - حرية التنقل: كفل الإسلام حرية التنقل لكل فرد حسبما يريد سواء كان ذلك داخل حدود الدولة الإسلامية أم سفر إلى خارجها، ويمكن إجمال صور التنقل فيما يلي:

أ - التنقل لتحقيق نفع ديني ودنيوي:

وذلك مثل التنقل طلباً للرزق بالطرق المشروعة، من تجارة وغيرها، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: 15].

ومن مثل التنقل طلباً للعلم، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ

(1) مقاصد الشريعة، محمد الطاهر بن عاشور، ص: 397.

(2) المصدر نفسه، ص: 397.

فَرَقَهُمُ طَائِفَةٌ لِّسَفَقَتُهُمْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿التوبة: 122﴾.

ومن مثل السفر بقصد زيارة الأرحام والأخوان في الله وبقصد زيارة البقاع الشريفة كمكة والمدينة، ومن مثل السفر بقصد الترويح عن النفس وعن الوجه المشروع، فالسياحة مباحة لأنها تفتح العين والقلب على المشاهدة الجديدة التي لم تألفها العين، ولا يملها القلب، بل قد تكون السياحة مندوباً إليها، إذا كانت على سبيل التدبر والاعتبار، ومعرفة سنن الله تعالى في الأمم السالفة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [الأنعام: 11].

ب - التنقل لأداء واجب ديني:

كالسفر لأداء فريضة الحج أو الجهاد في سبيل الله، قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكُم مِّنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: 27].

وقال تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: 41].

وهذا خطاب للمؤمنين، وعقب ذلك أنزل الله تعالى في شأن المنافقين قوله: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَدَدَتْ عَلَيْهِمُ الشَّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: 42].

أي لو كان ما دعوتهم إليه من الخروج في سبيل الله سفراً

وسطاً، ومتاعاً من الدنيا سهل المأخذ، لاتبعوك وخرجوا معك طلباً للغنيمة<sup>(1)</sup>.

### ج - الهجرة حفاظاً على سلامة العقيدة:

أوجب الإسلام الهجرة على كل مسلم تعرض للذل أو المهانة أو خاف أن يفتن في دينه، ووصف الذين يتقاعسون عن الهجرة مع استطاعتهم لها بأنهم من الظالمين لأنفسهم، ولم يستثن من ذلك إلا الفئة العاجزة فعلاً عن الهجرة من كبار السن والنساء والولدان، وقد قال ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝٩٧﴾ [النساء: 97-98]<sup>(2)</sup>.

إن الإسلام اعتنى بالحرية بأنواعها، وقدرها حق قدرها، سواء حرية الاعتقاد، أو حرية التعبير، أو حرية الفكر، أو حرية التنقل، وجعل الحرية مقصد من مقاصده.

### تاسعاً: رفع الحرج:

إن من مقاصد القرآن الكريم رفع الحرج عن المكلفين، ووردت آيات كثيرة جداً تبين أن هذا الدين دين يسر، وأن الله قد رفع الحرج عن هذه الأمة فيما يشق عليها، حيث لم يكلفها إلا وسعها، وسأبين أدلة التيسير، ثم أدلة رفع الحرج، ثم أدلة عدم

(1) حقوق الإنسان وحياته الأساسية، ص: 140.

(2) المصدر نفسه، ص: 140.

التكليف بغير الوسع والطاقة .

## 1 - أدلة التيسير والتخفيف:

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185].

وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 28].

وقال ﷺ: ﴿وَيُسِّرْكَ لِلْيُسْرَى﴾ [الأعلى: 8].

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ [الشرح: 5 - 6].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 4].

وقال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 7].

هذه بعض الآيات التي تفيد التيسير على هذه الأمة .

وقد ذكر المفسرون في تفسيرهم في هذه الآيات أن الله أراد لهذه الأمة اليسر ولم يرد لها العسر<sup>(1)</sup>.

## 2 - أدلة رفع الحرج:

من أقوى الأدلة في الدلالة على رفع الحرج وله تعالى: ﴿وَمَا

جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78]، أي: ما كلفكم ما لا

(1) تفسير الطبري (2/ 156)، تفسير ابن كثير (1/ 217).

تطبقون وما ألزمكم بشيء يشق عليكم إلا جعل الله لكم فرجاً ومخرجاً<sup>(1)</sup>.

وقال سبحانه: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: 6].  
وفي سورة التوبة: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: 91].

وقال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ [الأحزاب: 38].  
وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: 61].

وفي هذه الآيات دلالة ظاهرة على رفع الحرج عن هذه الأمة، وأن الله لم يجعل في التشريع حرجاً، وبعض هذه الآيات وإن كانت خاصة في أحكام معينة ولكننا نجد التعليل عاماً، فكأن التخفيف ورفع الحرج في هذه الأحكام والفروض بإعادة الشيء إلى أصله، وهو رفع الحرج عن هذه الأمة، فكل شيء يؤدي إلى الحرج لسبب خاص أو عام فهو معفو عنه، رجوعاً إلى الأصل والقاعدة<sup>(2)</sup>.

### 3 - أدلة عدم التكليف بما يضاد الوسع والطاقة:

قال سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286].

(1) تفسير الطبري (17/207).

(2) الوسطية في ضوء القرآن، د. ناصر العمر، ص: 106.



وقال الله تعالى كما في الحديث الصحيح: «قد فعلت»<sup>(1)</sup>.  
وكذلك قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِمْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ [البقرة: 286].  
والوسع: ما يسع الإنسان فلا يعجز عنه ولا يضيق عليه ولا يخرج فيه، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: لا يحملها إلا ما تسعه وتطيقه ولا تعجز عنه أو يخرجها دون مدى غاية الطاقة، فلا يكلفها بما يتوقف حصوله على تمام صرف القدرة، فإن عامة أحكام الإسلام تقع في هذه الحدود، ففي طاقة الإنسان وقدرته الإتيان بأكثر من خمس صلوات، وصيام أكثر من شهر، ولكن الله جلت قدرته ووسعت رحمته أراد بهذه الأمة اليسر ولم يرد بها العسر<sup>(2)</sup>.

ومن الأدلة على أن التكليف بحدود الوسع والطاقة قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأعراف: 42].  
ويقول سبحانه في سورة المؤمنون: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [المؤمنون: 62].

فسنة الله جارية على أنه لا يكلف النصوص إلى وسعها، وجاء التأكيد على هذه القاعدة عند ذكر بعض الأحكام الفرعية، فقال سبحانه: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 232].

(1) مسلم، كتاب الإيمان رقم 126 (1/116).

(2) رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، صالح بن حميد، ص: 73.

وكذلك في سورة الطلاق: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا ءَاتَاهَا﴾ [الطلاق: 7].

وكذلك أيضاً في سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْيَمْرَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: 152].

هذه هي الآيات التي وردت مبينة أن التكليف بحسب الوسع والطاقة، وتبين أن رفع الحرج من مقاصد القرآن الكريم.

### عاشراً: تقرير كرامة الإنسان:

يظهر التكريم الإلهي للإنسان في عدة أمور، منها:

#### 1 - الإنسان خليفة في الأرض:

أكد القرآن الكريم أن الإنسان مخلوق كريم على الله، فقد خلق آدم بيديه، ونفخ فيه من روحه، وجعله في الأرض خليفة، تكريماً للإنسان، وجاء ذلك في حوار بديع، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَنَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 30].

#### 2 - الإنسان محور الرسالات السماوية:

إن الإنسان هو المقصود غاية وهدفاً في ابتعاث الرسل واختيار الأنبياء، وإنزال الكتب والصحف وإن الله ﷻ الذي جعل آدم خليفة في الأرض، اقتضت حكمته، ومشيتته ورحمته بالإنسان ألا يخلقه عبثاً، وألا يتركه سدى، وإنما تكفل بهدايته وإرشاده، وأخذ بيده

إلى الطريق الأقوم والمنهج الأمثل وطمأنه منذ استقراره في الأرض أنه لن يدعه طعاماً سائغاً لوساوس الشيطان ولن يتركه نهياً للوهم، والخبط، والضلال، والشهوات، ولن يسلمه للجهالة والحيرة والضياع، وإنما أكرمه بالهداية والرشاد بالتى هي أقوم<sup>(1)</sup>. قال تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 38].

وقال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْنَى ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: 123-124].

وهكذا توالى الرسل وتتابع الأنبياء، وأنزلت الكتب، وكلها تدور على محور واحد، هو الإنسان، بما يحقق له السعادة في الدنيا والآخرة، وجاءت الشرائع لتأمين مصالح الناس بجلب النفع لهم، ودفع المضار عنهم، فترشداهم إلى الخير، وتهديهم إلى سواء السبيل، وتدلهم على البر، وتأخذ بيدهم إلى الهدى القويم، وتكشف لهم طريق الخير، وتحذرهم من الغوايا والشر<sup>(2)</sup>.

وجاءت الشريعة لتحقيق المصالح وتكميلها، وتقليل المفاصد وتعطيلها<sup>(3)</sup>.

(1) حقوق الإنسان، د. محمد الزحيلي، ص: 21.

(2) حقوق الإنسان، للزحيلي ص: 22.

(3) مجموع الفتاوى (48/20).

إن الأحكام الشرعية، إنما شرعت لجلب المصالح، أو لدرء المفاسد<sup>(1)</sup>.

### 3 - تكليف الملائكة بالسجود لآدم:

لم يقتصر الأمر الإلهي باختيار الإنسان خليفة في الأرض، بل تأكد ذلك في السماء والجنات العلا، واقترن بالفعل والتطبيق، وأعلن الله تعالى ذلك في الملائكة الأعلى بإرادته عن خلق آدم، واتخاذة خليفة وسجل ذلك في اللوح المحفوظ وأنزله وحياً يتلى على البشر، ثم أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم تعظيماً واحتراماً له، لأن الإرادة والإلهية تعلقت باختياره، فقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَسْكَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [ص: 71 - 74].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن صَلَاطٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴿٧٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٨٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الحجر: 28-31].

وكرر القرآن الكريم هذا الأمر، وهذه القصة في عدة سور قرآنية لتذكير الإنسان بفضل الله تعالى أولاً، وليعرف مكانته من الوجود والكون ثانياً وليحذره من غواية إبليس ثالثاً<sup>(2)</sup>.

(1) الموافقات، للشاطبي (1/195).

(2) حقوق الإنسان، للزحيلي، ص: 28.

## 4 - تفضيل الإنسان عن سائر المخلوقات :

صرح القرآن الكريم بهذا التفضيل والتكريم، قال تعالى :  
 ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَدِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ  
 وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70] .

## 5 - تسخير ما في الكون للإنسان :

قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي  
 الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: 20] .

وصرح القرآن الكريم بأن الله تعالى خلق الأنعام، وملكها  
 للإنسان، ثم ذلّلها له للركوب، والأكل، والمنافع، والمشارب، قال  
 تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا  
 مَالِكُونَ ﴿٧٦﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ  
 وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [يس: 71 - 72] .

وجه القرآن الكريم الإنسان إلى البحث في الكون، والتعرف  
 على خواصه وأسراره، والانتفاع به في الحياة، فقال تعالى عن  
 الثروة المائية : ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا  
 وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً حَلِيقَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [النحل: 14] .

وقال تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ  
 وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُمُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ  
 كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ  
 لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: 141] .

وقال تعالى عن الثروة الحيوانية : ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا  
 دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ

شَرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَعْمَلُ أَفْعَالَكُمْ إِنْ بَلَغَ لَكُمْ تَكُونُوا بِلَيْبِهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْحَيَلُ وَالْإِغَالُ وَالْحَمِيرُ لِرِزْقِهَا وَزِينَةُ وَمَخْلَقٌ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ [النحل: 5 - 8].

وقال تعالى عن الثروة الصناعية: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: 25].

وقال تعالى: ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَيِّغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرِّ وَأَعْمَلُوا صَليحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبا: 10 - 11].

## 6 - تكريم الإنسان بالعقل:

فالعقل هو الأداة الكبرى للمعرفة، ويتفرع عنه التفكير، والإرادة والاختيار، وكسب العلوم، لذلك كان الإنسان مسؤولاً عما يصدر عنه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 36].

وعدّ القرآن الكريم الإنساني الذي يعطل حواسه وعقله أضلّ من الأنعام والحيوان، لأن لديه وسائل المعرفة، لكنه عطّلها عما خلقت له.

قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَقُولُونَ﴾ [الأنفال: 22].

وقد تعددت الآيات القرآنية صراحة وإشارة في مخاطبة العقل ودعوته للتفكير، والنظر والبحث في الكون، وجعل التفكير فريضة إسلامية.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْوَانِ  
وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۚ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ  
جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا  
سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝﴾ [آل عمران: 190 - 191].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ  
السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ  
يَعْقِلُونَ ۝﴾ [الروم: 24].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْوَانِ  
وَالنَّهَارِ وَاللَّيْلِ فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ  
السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْرَجَ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَشَّرَ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ  
وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ  
يَعْقِلُونَ ۝﴾ [البقرة: 164].

وقال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّرَةٌ وَجَنَّتْ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ  
وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَلُ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي  
الْأَكْثَلِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝﴾ [الرعد: 4].

وآيات كثيرة تثير العقل، وتحثه، وتؤدي بالعقل إلى الإيمان  
بالله تعالى، واليقين بأنه الخالق المدبر، وبالمقابل إذا فشل العقل في  
أداء هذه الوظيفة فقد وجوده، وسلب الإنسان إنسانيته، وهذا ما  
أكده القرآن الكريم بنفي العقل عن الكفار، وحكم عليهم بأنهم لا  
يعقلون وذلك لعدم الاستفادة من السمع والبصر للانتفاع من آيات

الكون التي تنطق بوجود الله تعالى، وتوجب طاعته، وعندئذ ينسلخ الكافر من إنسانيته، ويتساوى بالحيوان ثم ينحدر عنه<sup>(1)</sup>.

قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۖ﴾ (١٢) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿١٣﴾ [الفرقان: 43 - 44].

## 7 - تكريم الإنسان بالأخلاق والفضائل:

تظهر كرامة الإنسان والدعوة إلى تكريمه بدعوة الإسلام إلى الأخلاق الفاضلة، وترغيب الفرد والمجتمع بمعالي الأمور والتسامي عن المادة، والحض على الخير والفضيلة بين الناس<sup>(2)</sup>، لذلك وصف القرآن الكريم نبيه محمداً ﷺ بأعلى أوسمة الفخار والثناء، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].

وبين ذلك رسول الله ﷺ فقال: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق»<sup>(3)</sup>.

فدعا الإسلام الناس جميعاً إلى البر والرحمة، والإخاء، والمودة، والتعاون، والوفاق، والصدق، والإحسان ووفاء الوعد، وأداء الأمانة وتطهير القلب، وتخليصه من الشوائب، كما دعا إلى العدل والمسامحة والعفو، والمغفرة والصبر والثبات، ودعا إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحث على النصيحة وغير ذلك

(1) حقوق الإنسان في الإسلام، للزحيلي، ص: 54.

(2) حقوق الإنسان، للزحيلي، ص: 64.

(3) سنن البيهقي (10/192)، البخاري، كتاب الأدب الموطأ، ص: 564.



من مكارم الأخلاق والفضائل<sup>(1)</sup>، والأخلاق الفاضلة تزين الإنسانية وتُعَلِّي شأنها، وتُنسَق بين أفرادها وتَصُون العلاقات الجماعية، وتوجيهاها إلى الخير والكمال، لتصور الحياة البشرية في أجمل صورها، وأحسن أحوالها، وتتجنب الرذيلة، والفساد الخُلُقِي والاجتماعي<sup>(2)</sup>.

### 8 - تكريم الإنسان في تشريع الأحكام:

وهذا باب واسع يُغْطِي جميع الأحكام الشرعية، ويدفع لمعرفة العلة فيها والحكمة من تشريعها، ولذلك نضرب بعض الأمثلة فقط كنماذج:

#### أ - وجود الإنسان:

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: 21].

﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: جنسكم ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ أي: تأنسوا بها، فإن المجانسة من دواعي التضامن والتعاون ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ أي: تواداً وتراحماً بعصمة الزواج بعد أن لم يكن لقاء ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة أو رحم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: في بدائع هذه الأفاعيل المتينة المبنية على الحكم البالغة<sup>(3)</sup>.

(1) حقوق الإنسان، للزحيلي، ص: 64.

(2) حقوق الإنسان، للزحيلي، ص: 66.

(3) محاسن التأويل للقاسمي (4772 / 13).

## ب - حقوق الأولاد:

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْاْ أَنفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحریم: 6].

أمر الله ﷻ في هذه الآية: بأن يقي المؤمنون أنفسهم النار بأفعالهم، وأهليهم بالنصح، والوعظ، والإرشاد وهذا يتطلب الالتزام التام بأحكام الشرع أمراً ونهيّاً، وترك المعاصي، وفعل الطاعات، ومتابعة القيام بالأعمال الصالحة، وحث الزوجة والأولاد على أداء الفرائض، واجتناب النواهي ومراقبتهم المستمرة في ذلك<sup>(1)</sup>.

## ج - احترام إرادة الإنسان في العقود والتصرفات:

ومن ذلك إرشاد القرآن الكريم إلى كتابة المداينة بين الأطراف، ثم أمر بالإشهاد عليها، وبين الحكمة والغاية من ذلك:

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً﴾ [البقرة: 282].

ثم قال تعالى: ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِّجَالِكُمْ﴾ [البقرة: 282].

ثم بين تعالى الحكمة والغاية، فقال: ﴿ذَلِكَ لَكُمْ أَفْسَظْ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا

(1) التفسير المنير، للزحيلي (28/ 316 - 320).

بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُوبُوهَا ﴿البقرة: 282﴾.

كما أن الله حرّم الغشّ والاعتداء على أموال الآخرين، واغتصاب حقوقهم، لأن ذلك يخل بالكرامة السامية للطرفين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ يَلْبِطِلْ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 188].

وقال تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ يَلْبِطِلْ إِلَّا أَنْ تَكُونَتْ بِحُكْمٍ عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾ [النساء: 29].

لقد احترم الإسلام الإنسان، واعتبر إرادته أساساً في التعاقد، والتعامل حتى سبق تشريعات العالم في سلطان الإرادة العقدية، ثم اعتدّ بالإرادة الإنسانية في سائر التصرفات وأبطل التصرفات التي تقع بالإكراه، فقال رسول الله ﷺ: «رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ»<sup>(1)</sup>، وجمع الحديث بين الخطأ والنسيان، والإكراه، لأن الإرادة مفقودة حقيقة في هذه الحالات، كما حرّم الإسلام أكل مال الإنسان إلا عن طيب نفسه<sup>(2)</sup>.

#### د - العقوبات:

قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأَوَّلِي آلَاءِ رَبِّ لِمَلَكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 179].

(1) حقوق الإنسان، ص: 72.

(2) الفتح الكبير في ضم الزيادات إلى الجامع الكبير، للسيوطي نقلاً عن حقوق الإنسان، ص: 72.

لقد حرص المشرع الحكيم على التكريم الإنساني حتى في باب العقوبات، فقصّد حفظ الدماء، والأنفس، والحياة عامة، وراعي الكرامة الإنسانية، فنصّ على الأشياء الممنوعة والمحرمّة، وحذر منها ورهب من ارتكابها، فإن حصل الخلل، ووقع الخطأ، أو العدوان والإثم، شرع العقاب المناسب للجريمة بما لا يمس كرامة الإنسان فشرع القصاص ومنع المثلة والعدوان، واعتبر العقوبة تأديباً، وإصلاحاً وزجراً وردعاً<sup>(1)</sup>.

وقد ورد في النصوص الشرعية أدلة كثيرة في رعاية الجانب الإنساني مع المتهم، والمجرم، والجاني، سواء في معاملته، والتحقيق معه، أم في محاكمته وتأمين حقوقه الإنسانية ومنحه الحق في الدفاع عن نفسه أم في معاقبته وتنفيذ الحكم عليه بالسجن وغيره<sup>(2)</sup>.

وبعد:

فإن جميع الأحكام الشرعية مُراعى فيها الناحية الإنسانية، لأنها ما شرعت أصلاً إلا لمصلحته، وإن الشريعة الغراء راعت إنسانية الإنسان بالأحكام الحكيمة العادلة المناسبة له قبل الولادة وبعدها، وسمت برعاية اليتيم والأطفال خاصة، ثم الإنسان عامة، طوال فترة الحياة، ثم رعت شؤونهم عند الموت، والتجهيز، والغسيل، والتكفين، والصلاة عليه، ومواراته التراب، وعدم الاعتداء على الميت أو إيذائه بكلمة، أو غيبة، أو بالجلوس على قبره، وهي

(1) حقوق الإنسان، للزحيلي، ص: 73.

(2) المصدر نفسه، ص: 74.

أحكام إنسانية بكل ما في الكلمة من معنى، مما يدركه الباحث في العلوم الشرعية والمتفقه في الفقه وأحكام الإسلام.

كما يتجلى لنا التكريم الإلهي للإنسان في كل صغيرة وكبيرة وفي جميع شؤون الحياة وأطوار الإنسان، ليكون المكرم، والمفضل، والمقدم عند الله، والخليفة في الأرض<sup>(1)</sup>.

### الحادي عشر: تقرير حقوق الإنسان:

من مقاصد القرآن الكريم تقرير حقوق الإنسان، فحقوق الإنسان في الإسلام ليست منحة من ملك أو حاكم أو قرار صادر عن سلطة محلية أو منظمة دولية، وإنما هي حقوق ملزمة بحكم مصدرها الإلهي لا تقبل الحذف ولا النسخ ولا التعطيل ولا يسمح بالاعتداء عليها ولا يجوز التنازل عنها<sup>(2)</sup>، ومن هذه الحقوق:

#### 1 - حق الحياة:

حياة الإنسان مقدسة لا يجوز لأحد أن يعتدي عليها، قال تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا يَغْتَرِ نَفْسًا أَوْ فَسَادًا فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 32].

ولا تسلب هذه القدسية إلا بسلطان الشريعة وبالإجراءات التي تقرها، وكيان الإنسان المادي والمعنوي حمى، تحميه الشريعة في حياته، وبعد مماته ومن حقه الترفق والتكريم في التعامل مع جثمانه<sup>(3)</sup>.

(1) حقوق الإنسان، للزحيلي، ص: 78.

(2) حقوق الإنسان، رواية أحمد، ص: 174.

(3) حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام، محمد الغزالي، ص: 174.

## 2 - حق الحرية:

حرية الإنسان مقدسة - كحياته سواء - وهي الصفة الطبيعية الأولى التي بها يولد الإنسان وقد بينا أن من مقاصد الشريعة الحرية وتحديثنا عن أنواعها، كحرية المعتقدات، وحرية التعبير، وحرية الفكر، وحرية التنقل.

ويجب توفير الضمانات الكافية لحماية حرية الأفراد، ولا يجوز تقييدها أو الحد منها إلا بسلطان الشريعة، وبالإجراءات التي تقرها، ولا يجوز لشعب أن يعتدي على حرية شعب آخر، وللشعب المعتدي عليه أن يرد العدوان ويسترد حريته بكل السبل الممكنة، قال تعالى: ﴿وَلَمَنِ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [الشورى: 41].

وعلى المجتمع الدولي مساندة كل شعب يجاهد من أجل حريته ويتحمل المسلمون في هذا واجباً ولا ترخص فيه، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الحج: 41].

## 3 - حق المساواة:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾ [الحجرات: 13].

- الناس جميعاً سواسية أمام الشريعة، قال رسول الله ﷺ: «لا فضل لعربي على عجمي ولا عجمي على عربي، ولا لأحمر على

أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى»<sup>(1)</sup>، ولا تمايز بين الأفراد في تطبيقها عليهم، قال رسول الله ﷺ: «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»<sup>(2)</sup>.

- الناس كلهم في القيمة الإنسانية سواء، قال رسول الله ﷺ: «كلكم لآدم وادم من تراب»<sup>(3)</sup>، وإنما يتفاضلون بحسب عملهم، قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ [الأحقاف: 19].

وكل فكر وكل تشريع، وكل وضع يسوغ التفرقة بين الأفراد على أساس الجنس، أو العرق، أو اللون، أو اللغة، أو الدين، هو مصادرة مباشرة لهذا المبدأ الإسلامي العام<sup>(4)</sup>.

- لكل فرد حق في الانتفاع بالموارد المادية للمجتمع من خلال فرصة عمل متكافئة لفرص غيره، قال تعالى: ﴿فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهَا﴾ [الملك: 15]، ولا يجوز التفرقة بين الأفراد كما وكيفاً، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ﴾ [الزلزلة: 7 - 8].

#### 4 - حق العدالة:

- من حق كل فرد أن يتحاكم إلى الشريعة وأن يتحاكم إليها دون سواها، قال تعالى: ﴿فَإِن نَّزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: 59].

(1) مسند الإمام أحمد (5/ 411).

(2) مسلم، كتاب الحدود (3/ 1315).

(3) من خطبة حجة الوداع، حقوق الإنسان، للغزالي، ص: 175.

(4) حقوق الإنسان، للغزالي، ص: 175.

وقال تعالى: ﴿وَأَن أَعْلَمَ بَيْنَهُم مِّمَّا أُنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [المائدة: 49].

- ومن حق الفرد أن يدفع عن نفسه ما يلحقه من ظلم، قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ [النساء: 148]، ومن واجبه أن يدفع الظلم عن غيره بما يملك.

- ومن حق الفرد أن يلجأ إلى سلطة شرعية تحميه وتنصفه وتدفع عنه، ما لحقه من ضرر أو ظلم، وعلى الحاكم المسلم أن يقيم هذه السلطة ويوفر لها الضمانات الكفيلة بحيديتها واستقلالها<sup>(1)</sup>.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَعْلَمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: 58].

وقال تعالى: ﴿يٰۤاٰدٰمُ اِنَّا جَعَلٰنَكَ خَلِيفَةً فِى الْاَرْضِ فَلَا تَتَّبِعِ الْهَوٰى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ اِنَّ الَّذِيْنَ يَصْلُوْنَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيْدٌ مِّمَّا سَوَّوْاْ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: 26].

## 5 - حق الفرد في محاكمة عادلة:

البراءة هي الأصل، وهو مستصحب ومستمر حتى مع اتهام الشخص ما لم تثبت إدانته أمام محكمة عادلة إدانة نهائية، ولا تجريم إلا بنص، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِيْنَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُوْلًا﴾ [الإسراء: 15].

ولا يحكم بتجريم شخص، ولا يعاقب على جرم إلا بعد ثبوت

(1) حقوق الإنسان، للغزالي، ص: 175.



ارتكابه له بأدلة لا تقبل المراجعة أمام محكمة ذات طبيعة قضائية كاملة، قال تعالى: ﴿إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ بِبَيِّنَةٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: 6]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم: 28].

ولا يجوز - بحال - تجاوز العقوبة التي قدرتها الشريعة للجريمة، قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: 229].

ولا يؤخذ إنسان بجريرة غيره، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الإسراء: 15]، وكل إنسان مستقل بمسؤوليته عن أفعاله، قال تعالى: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِنَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: 21].

ولا يجوز بحال أن تمتد المسألة إلى ذويه من أهل وأقارب أو أتباع وأصدقاء، قال تعالى: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعْنَا عَنْدَهُ إِنَّا إِذَا أَفْلَحْنَاهُ﴾ [يوسف: 79] (1).

## 6 - حق الحماية من تعسف السلطة:

لكل فرد الحق في حمايته من تعسف السلطات معه، ولا يجوز مطالبته بتقديم تفسير لعمل من أعماله أو وضع من أوضاعه، ولا توجيه اتهام له إلا بناء على قرائن قوية تدل على تورطه فيما يوجه إليه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا مَا أَكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: 158].

## 7 - حق الفرد في حماية عرضه وسمعته:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا لِلْيَزُورِ

(1) حقوق الإنسان، للغزالي، ص: 176.

أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ﴿[الحجرات: 11].

عرض الفرد وسمعته حرمة لا يجوز انتهاكها، قال رسول الله ﷺ: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومك هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا»<sup>(1)</sup>.

ويحرم تتبع عوراته ومحاولة النيل من شخصيته وكيانه الأدبي.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿[الحجرات: 12].

#### 8 - حق اللجوء؛

من حق كل مسلم مضطهد أو مظلوم أن يلجأ إلى حيث يأمن، في نطاق دار الإسلام وهو حق يكفله الإسلام لكل مضطهد، أياً كانت جنسيته أو عقيدته، أو لونه ويحمل المسلمون واجب توفير الأمان له متى لجأ إليهم.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّقِ اللَّهَ مَا آمَنَهُ ﴿[التوبة: 6].

وبيت الله الحرام - بمكة المشرفة - هو مثابة وأمن للناس جميعاً لا يصد عنه مسلم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴿[آل عمران: 97]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴿[البقرة: 125]<sup>(2)</sup>.

(1) صحيح مسلم، رقم 889.

(2) حقوق الإنسان، محمد الغزالي، ص: 177.

## 9 - حقوق الأقليات:

الأوضاع الدينية للأقليات يحكمها المبدأ القرآني العام، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256].

والأوضاع المدنية والأحوال الشخصية للأقليات، تحكمها شريعة الإسلام إن هم يتحاكموا إلينا، قال تعالى: ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَأَحْكَمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَكَنْ يَضُرُّكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ [المائدة: 42]، فإن لم يتحاكموا إلينا كان عليهم أن يتحاكموا إلى شرائعهم ما دامت تنتمي - عندهم - لأصل إلهي: ﴿وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ [المائدة: 43].

وقال تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أُنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ [المائدة:

[47].

## 10 - حق المشاركة في الحياة العامة:

من حق كل فرد في الأمة أن يعلم بما يجري في حياتها، من شؤون تتصل بالمصلحة العامة للجماعة وعليه أن يسهم فيها بقدر ما تتبع له قدرته ومواهبه إعمالاً لمبدأ الشورى، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: 28]، وكل فرد في الأمة أهل لتولي المناصب، والوظائف العامة، متى توافرت فيه شرائطها الشرعية، ولا تسقط هذه الأهلية أو تنقص تحت أي اعتبار عنصري أو طبقي، قال رسول الله ﷺ: «المسلمون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم، ويسعى بذمتهم أدناهم»<sup>(1)</sup>.

(1) صحيح سنن أبي داود، الألباني (2، 525).

والشورى أساس العلاقة بين الحاكم والأمة، ومن حق الأمة أن تختار حكامها بإرادتها الحرة، تطبيقاً لهذا المبدأ، ولها الحق في محاسبتهم وفي عزلهم إذا حادوا من الشريعة، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : (إني وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة... أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله، فلا طاعة لي عليكم)<sup>(1)</sup>.

## 11 - حق الدعوة والبلاغ:

لكل فرد الحق أن يشارك مع غيره أو منفرداً في حياة المجتمع: دينياً واجتماعياً، وثقافياً وسياسياً... إلخ وأن ينشئ من المؤسسات، ويصنع من الوسائل ما هو ضروري لممارسة هذا الحق، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتُ﴾ [يوسف: 108].

من الحق لكل فرد ومن واجبه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وأن يطالب المجتمع بإقامة المؤسسات التي تهيء للأفراد الوفاء بهذه المسؤولية، تعاوناً على البر والتقوى، قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: 104]<sup>(2)</sup>، وحق الإنسان في إنكار المنكر، ورفض الفساد، ومقاومة الظلم البين، والكفر البواح، قرره القرآن بقوله: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا

(1) التاريخ الإسلامي، عبد العزيز الحميدي، (28/9) الشورى فريضة إسلامية، للصلابي، ص: 56.

(2) حقوق الإنسان، للغزالي، ص: 179.

إِلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿[هود: 13].

- قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: 78-79]، كيف لا وقد قيد الله الطاعة للرسول نفسه بالمعروف، فقال في بيعة النساء: ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ [المتحنة: 12]. وقال على لسان نبي الله صالح: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الشعراء: 151 - 152].

بل إن الإسلام قد ارتقى بهذه الأمور من مرتبة الحقوق إلى مرتبة الفرائض والواجبات لأن ما كان من الحقوق يمكن لصاحبه أن يتنازل عنه، أما الواجبات المفروضة فلا يجوز التنازل عنها<sup>(1)</sup>.

## 12 - الحقوق الاقتصادية:

الطبيعة - بثرواتها جميعاً - ملك لله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: 120]، وهي عطاء منه للبشر، منحهم حق الانتفاع بها، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الباقية: 13].

وحرم عليهم إفسادها وتدميرها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْلَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء: 183].

(1) كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ص: 74.

ولا يجوز لأحد أن يجرم آخر أو يعتدي على حقه في الانتفاع بما في الطبيعة من مصادر الرزق: ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: 20].

فلكل إنسان الحق في العمل والمشي في مناكب الأرض سعياً لكسب رزقه، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: 15].

حتى في يوم الجمعة قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: 10].

وفي الحج قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: 198].

ولكل إنسان الحق في أن يتمتع بثمرة ما كسب من حلال عن طريق التملك، رجلاً كان أو امرأة: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ [النساء: 32]<sup>(1)</sup>.

### 13 - حق حماية الملكية:

لا يجوز انتزاع ملكية، نشأت عن كسب حلال، إلا للمصلحة العامة قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: 188].

ومع تعويض عادل لصاحبها، قال رسول الله ﷺ: «من أخذ من الأرض شيئاً بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين»<sup>(2)</sup>. وحرمة الملكية العامة أعظم، وعقوبة الاعتداء عليها

(1) كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ص: 72.

(2) صحيح البخاري، كتاب المظالم (2/115).

أشد، لأنه عدوان على المجتمع كله وخيانة للأمة بأسرها، قال رسول الله ﷺ: «من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً، فما أخذ بعد ذلك فهو غلو له»<sup>(1)</sup>.

#### 14 - حق العامل:

العمل: شعار رفعه الإسلام لمجتمعه، قال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا﴾ [التوبة: 105].

وإذا كان حق العمل الإتقان، قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»<sup>(2)</sup>.

#### - فإن حق العامل:

- أن يوفي أجره المكافي لجهدته دون حيف عليه أو مماطلة له، قال رسول الله ﷺ: «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه»<sup>(3)</sup>.

- أن توفر له حياة كريمة تتناسب مع ما يبذله من جهد وعرق.

- أن يمنح ما هو جدير به من تكريم المجتمع كله له، قال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: 105].

- أن يجد الحماية، التي تحول دون غبنه واستغلال ظروفه<sup>(4)</sup>.

#### 15 - حق الفرد في كفايته من مقومات الحياة:

من حق الفرد أن ينال كفايته من ضروريات الحياة، من طعام

(1) صحيح سنن أبي داود (230/2).

(2) صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني رقم 1880.

(3) صحيح سنن ابن ماجه للألباني (59/2).

(4) حقوق الإنسان، للغزالي، ص: 181.

وشراب، وملبس ومسكن.. ومما يلزم لصحة بدنه من رعاية، وما يلزم لصحة روحه، وعقله من علم ومعرفة وثقافة في نطاق ما تسمح به موارد الأمة ويمتد واجب الأمة ليشمل ما لا يستطيع الفرد أن يستقل هو بتوفيره لنفسه من ذلك<sup>(1)</sup>.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10]. وقال رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله»<sup>(2)</sup>.

قال ابن حزم تعليقاً على هذا الحديث: من تركه يجوع ويعري وهو قادر على إطعامه وكسوته فقد أسلمه<sup>(3)</sup>. إن الأخوة ليست مجرد عاطفة، ولكنها عقد تكافل وتعاون وتآزر وهو عقد طرفه الأساسي الأمة ممثلة في مستويات مترتبة تبدأ بالأسرة حيث أوجب على أفرادها التكافل في الإرث والوصية والنفقة، قال تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: 75].

ثم الجيرة: قال تعالى: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ [النساء: 36]، ثم يأتي أهل الحي ثم المجتمع كله عن طريق الزكاة وهي فريضة ملزمة ثم النفقة التطوعية<sup>(4)</sup>.

## 16 - تأكيد حقوق الضعفاء:

قرر القرآن الكريم حقوق الإنسان عامة، ولكنه عني عناية فائقة

(1) حقوق الإنسان، للغزالي، ص: 182.

(2) البخاري (250/1) ورواه مسلم.

(3) المحلى، نقلاً عن الحريات للنووشي (108/1).

(4) الحريات في الدولة الإسلامية (109/1).



بحقوق الضعفاء من بني الإنسان خاصة خفية أن يجور عليهم الأقوياء، أو يهمل أمرهم الحكام والمسؤولون، نجد مظاهر هذه العناية في سور القرآن الكريم مكية ومدنية، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا آلَيْتُم مَّنَافِعَ النَّاسِ فَمَا لَكُمْ أَن يَتَّقُوا﴾ [الضحى: 9]، وفي سورة المدثر يتحدث عن المجرمين في سقر وأسباب دخولهم فيها، فيقول على لسان أصحاب اليمين حيث يسألونهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ [٤٢] قَالُوا لَوْ نَكُ مِنْ الْمُصَلِّينَ [٤٣] وَلَوْ نَكُ نَطُوعًا أَلَيْسَ كُنَّ [٤٤] [المدثر: 42 - 44]، وهاتان السورتان - الضحى والمدثر - من أوائل ما نزل. وفي سورة الماعون: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ﴾ [١] فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ آلَيْتَهُ [٢] وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ [٣] [الماعون: 1 - 3].

فلم يكتف بإيجاب إطعام المسكين بل أوجب الحض على ذلك والدعوة إليه.

وفي سورة الحاقة، علّل القرآن دخول صاحب الشمال الجحيم بقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ كَانُمْ لَا يَوْمُنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ [٣٣] وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ [٣٤] [الحاقة: 33 - 34]، فقرن الحض على الإيمان أو قرن ترك الحض بالكفر بالله تعالى، وفي سورة الفجر خاطب القرآن المجتمع الجاهلي المتظالم بقوله: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ [٧] وَلَا تَخْضَعُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ [٨] [الفجر: 17 - 18].

وأمر بالمحافظة على مال اليتيم - إن كان له مال - إذ جعل ذلك من وصايا العشر في سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الأنعام: 152]، وكرر هذه الوصية في [الإسراء: 34].

وفي سورة النساء وضع القواعد للمحافظة على مال اليتيم وحسن استغلاله وتنميته بالمعروف في جملة من الآيات انتهت بوعيد شديد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: 10]<sup>(1)</sup>.

وقد جعل القرآن للمساكين واليتامى إذا كانوا فقراء حظاً في أموال الدولة من الزكاة والفىء وخمس الغنيمة.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمَعْمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَاةِ فُلُوجُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْفَتَرِ مِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ [التوبة: 60].

وقال تعالى: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ كَى لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ [الحشر: 7].

وإنما جعلنا الزكاة من أموال الدولة لأن الله أمر ولي الأمر بأخذها، فقال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: 103].

فإذا لم تتول الدولة أخذها، كان على أرباب الأموال أداؤها إلى الفقراء، يبحثون هم عن الفقراء ولا يبحث الفقراء عنهم.

كما جعل لهم حقاً في أموال أقاربهم وسائر الأمة بعد ذلك، قال تعالى: ﴿لَيْسَ إِلَيْكَ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ فَبِأَلِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ إِلَيْكَ

(1) كيف تتعامل مع القرآن العظيم، ص: 75.

مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآلَمَ بِكَوْنِ الْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ [البقرة: 177].

قال تعالى: ﴿وَمَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقًّا وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ﴾ [الإسراء: 26].

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ﴾ [البقرة: 215].

وأهم من ذلك كله: أن القرآن شرع القتال وسل السيوف للدفاع عن المستضعفين في الأرض، بل حرض أبلغ التحريض على القتال ذوداً عن حرماتهم، ودرءاً للظلم عنهم، قال تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٦﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٧﴾﴾ [النساء: 74 - 75].

هذه بعض الحقوق التي قررها القرآن للإنسان ولا نقول: أعلنها، إذ كان الأمر أكبر من إعلان، إنه بلاغ من رب الناس للناس، أسست عليه عقيدة، ونهضت على أساسه ثقافة وتربية، وبني عليه فقه وتشريع، وقامت عليه دولة وأمة، وامتدت به حضارة وتاريخ<sup>(1)</sup>.

(1) كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ص: 76.

## الثاني عشر: تكوين الأسرة الصالحة:

ومن المقاصد التي هدف إليها القرآن الكريم، تكوين الأسرة الصالحة، التي هي ركيزة المجتمع الصالح، ونواة الأمة الصالحة<sup>(1)</sup>.

ولا ريب أن أساس تكوين الأسرة هو الزواج الذي يربط بين الرجل والمرأة رباطاً شرعياً وثيق العرى، مكنين البيان، مؤسساً على تقوى من الله ورضوان. وقد اعتبر القرآن هذا الزواج آية من آيات الله، مثل خلق السموات والأرض، وخلق الإنسان من تراب وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ﴾ [الروم: 21].

فأشار إلى الدعائم الثلاثة التي تقوم عليها الحياة الزوجية، كما يرشد إليها القرآن، وهي السكون، والمودة، والرحمة، ويعني بالسكون: سكون النفس من اضطرابها وثورانها توقاً إلى الجنس الآخر، بالإشباع المشروع في ظل مرضاة الله، فلا يعرف الإسلام الأسرة إلا بين رجل وامرأة، منذ الأسرة البشرية الأولى من آدم وزوجه ﴿أَسْكَنْ أَنتَ وَزَوَّجَكَ أَلْحَنَّا﴾ [البقرة: 35].

لا يعرف ما يدعو إليه المتحللون من الغربيين اليوم من الأسرة الوحيدة الجنس، بحيث يتزوج الرجل الرجل، والمرأة المرأة، وهذا أمر ضد الفطرة، وضد الأخلاق، وضد الشرائع، وهو للأسف ما حاول مؤتمر السكان في القاهرة «1994م» ومؤتمر المرأة في بكين أن

(1) كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ص: 86.

يفرضاه على العالم<sup>(1)</sup>.

وبهذا يقاوم القرآن الكريم نزعتين منحرفتين:

أولهما: نزعة «الرهبانية» المنافية للفطرة، التي تحرم الزواج، وتنظر إلى الغريزة الجنسية وكأنها رجس من عمل الشيطان، وتنفر من ظل المرأة، ولو كانت أختاً أو أمّاً، لأنها أحبولة الشيطان.

وثانيها: نزعة «الإباحية» التي تطلق العنان للغريزة، بلا ضابط ولا رابط، وتنادي بحرية الاستمتاع الجنسي بين الرجل والمرأة، دون ارتباط بمسؤولية شرعية، تتكون من خلالها حياة زوجية ذات هدف، تنشأ منها أسرة مترابطة، تقوم على أمومة حانية، وأبوة راعية وبنوة بارّة، وأخوة عاطفة، وتترى في ظلها مشاعر المحبة وعواطف الإيثار والتعاون<sup>(2)</sup>.

استهدف الشارع عدة مقاصد من تكوين الأسرة منها:

### 1 - حفظ النسل:

وتحقيقاً لهذا المقصد قصر الإسلام الزواج المشروع على ما يكون بين ذكر وأنثى وحرّم كل صور اللقاء خارج الزواج المشروع، كما حرّم العلاقات الشاذة التي لا تؤدي إلى الإنجاب، وفي هذا تعمير للأرض وتواصل للأجيال، قال الله جل شأنه: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: 61]<sup>(3)</sup>.

(1) كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ص: 86.

(2) المصدر نفسه ص: 87.

(3) ميثاق الأسرة في الإسلام، اللجنة العالمية للمرأة والطفل، ص: 132.

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَكُنْ لَكُمْ رِجَالٌ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ نِسَاءً لِيَكُنَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُنَّ حَفَظَةٌ ۖ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِيَكُنَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُنَّ حَفَظَةٌ ۖ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِيَكُنَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُنَّ حَفَظَةٌ﴾ [النحل: 72].

وكان من دعاء عباد الرحمن: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَنْزَلِنَا وَزِدْلِنَا فُرْقَةً أَغْنِيَنَا وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: 74].

وقال الخليل إبراهيم: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١٣٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٣١﴾ [الصافات: 100 - 101].

وقال زكريا عليه السلام: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَأْيِكَ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ ﴿٥﴾ يَرْثِي وَرِثَتِي مِنْ عَالٍ يَعْقُوبُ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: 5 - 6].

فجاء الجواب الإلهي: ﴿يُنْزَكِرْنَا إِنَّا نَبْشِركُ بِغُلَامٍ أَسْمُهُ يَجْئِي لَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: 7].

## 2 - تحقيق السكن والمودة والرحمة:

وشرعت أحكاماً وآداباً بالمعاشرة بالمعروف بين الزوجين حتى لا تنحصر العلاقة بين الزوجين في صورة جسدية بحتة، قال الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: 19].

والمعروف هنا ما يقره العرف السليم، واعتاده أهل الاعتدال والاستقامة من الناس، قال تعالى: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةٌ الْفُجَاءِ الَّتِي يُهْرَبُ فِيهَا مِنَ الْمَوْتِ﴾ [البقرة: 187]، وإنما عبر عن هذه العلاقة باللباس، لما توحى به الكلمة من الزينة والستر واللصوق والدفء، قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [آل عمران: 195].

ومعنى ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾: أن المرأة من الرجل والرجل من المرأة، فلا خصومة ولا تناقض، بل تكامل وتناسق وتعاون<sup>(1)</sup>.

### 3 - حفظ النسب:

ولهذا المقصد أبطل الله تعالى نظام التبني وأمرنا بإرجاع نسب الأولاد بالتبني إلى أنسابهم الحقيقية، قال الله جل شأنه: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي حَرْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ أَلْفًا تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۝﴾ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا [الأحزاب: 4 - 5].

وقال رسول الله ﷺ: «أبما رجل دعا إلى غير والديه، أو تولى غير مواليه الذين أعتقوه، فإن عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين إلى يوم القيامة، لا يقبل منه صرف<sup>(2)</sup> ولا عدل<sup>(3)</sup>».

ولأجل حفظ النسب حرم الإسلام أيضاً الزنا، وشرعت الأحكام الخاصة بالعدة، وعدم كتم ما في الأرحام، وإثبات النسب وجحده، وهي أحكام لها تفصيلها في مظانها من المراجع الفقهية<sup>(4)</sup>.

(1) ميثاق الأسرة في الإسلام، ص: 135.

(2) الصرف: الفريضة أو النافلة، وقيل التوبة.

(3) العدل: التوبة أو الغدية، حديث صحيح رواه أحمد والدارمي.

(4) ميثاق الأسرة في الإسلام، ص: 137.

## 4 - الإحصان:

يوفر الزواج الشرعي صون العفاف، ويحقق الإحصان، ويحفظ الأعراض، ويسد ذرائع الفساد الجنسي بالقضاء على فوضى الإباحية والانحلال<sup>(1)</sup>، وقد اختص الإسلام بمراعاته للفترة البشرية وقبولهم بواقعه، ومحاولة تهذيبها والارتقاء بها لا كبثها وقمعها، قال الله جل شأنه: ﴿زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِئَةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِ﴾ [آل عمران: 14]، وهي شهوات مستحبة مستلذة لكنها يجب أن توضع في مكانها لا تتعدها ولا تطغى على ما هو أكرم في الحياة وأعلى<sup>(2)</sup>.

والقرآن الكريم لا يضع أي قيد على الاستمتاع بين المرء وزوجه: ﴿سَأَوْكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [البقرة: 223]، ما دام الاستمتاع في موضع الحرث وفي غير موضع الأذى وزمانه، قال تعالى: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَأَعْرِضُوا عَنِ النِّسَاءِ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: 222]<sup>(3)</sup>.

## 5 - حفظ التدين في الأسرة:

الأسرة هي محضن الأفراد، ولا برعاية أجسادهم فقط، بل

(1) ميثاق الأسرة في الإسلام، ص: 137.

(2) المصدر نفسه، ص: 138.

(3) كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ص: 87.



الأهم غرس القيم الدينية والخلقية في نفوسهم، وتبدأ مسؤولية الأسرة في هذا المجال قبل تكون الجنين بحسن اختيار كل من الزوجين إلى الآخر، وأولوية المعيار الديني والخلقي في هذا الاختيار<sup>(1)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ وَلَا أُمَّةً مُّؤْمِنَةً حَتَّىٰ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْبَبْتُمْ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَبَيِّنَ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: 221].

وقال رسول الله ﷺ: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه روجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»<sup>(2)</sup>.

وتستمر مسؤولية الأسرة بتعليم العقيدة والعبادة والأخلاق لأفراد الأسرة، وتدريبهم على ممارستها ومتابعة ذلك حتى بلوغ الأطفال رشدهم واستقلالهم بالمسؤولية الدينية عن تصرفاتهم<sup>(3)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: 32].

وقال جل شأنه عن النبي إسماعيل عليه السلام: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: 55].

(1) ميثاق الأسرة في الإسلام، ص: 138.

(2) حديث حسن رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم والبيهقي، ميثاق الأسرة في الإسلام، ص: 154.

(3) ميثاق الأسرة في الإسلام، ص: 138.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: 6].

### الثالث عشر: إنصاف المرأة وتحريرها من ظلم الجاهلية:

من أهم ما جاء به القرآن الكريم هنا: إنصاف المرأة وتحريرها من ظلم الجاهلية وظلامها، ومن تحكم الرجل في مصيرها بغير حق، فكرم القرآن المرأة وأعطاه حقوقها بوصفها إنساناً وكرمها بوصفها أنثى، وكرمها بوصفها بنتاً، وكرمها بوصفها زوجة، وكرمها أمّاً، وكرمها بوصفها عضواً في المجتمع<sup>(1)</sup>.

لقد جاء الإسلام وبعض الناس ينكرون إنسانية المرأة، وآخرون يرتابون فيها، وغيرهم يعترف بإنسانيتها، ولكنه يعتبرها مخلوقاً خلق لخدمة الرجل، فكان من فضل الإسلام أنه كرم المرأة، وأكد إنسانيتها، وأهليتها للتكليف، والمسؤولية والجزاء ودخول الجنة، واعتبرها إنساناً كريماً له كل ما للرجل من حقوق إنسانية، لأنهما فرعان من شجرة واحدة، وأخوان ولدهما أب واحد هو آدم، وأم واحدة هي حواء، فهما متساويان في أصل النشأة، متساويان في الخصائص الإنسانية العامة، متساويان في التكليف والمسؤولية، متساويان في الجزاء والمصير<sup>(2)</sup>، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

(1) كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ص: 89.

(2) ملامح المجتمع المسلم، د. يوسف القرضاوي، ص: 321.



3 - وفي قصة آدم توجه التكليف الإلهي: إليه وإلى زوجه سواء، قال تعالى: ﴿يَتَادَمُ أَشْكُنَ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَعَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 35].

والجديد في هذه القصة - كما ذكرها القرآن - أنها نسبت الإغواء إلى الشيطان لا إلى حواء - كما فعلت التوراة المحرفة: ﴿فَارْزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة: 36].

ولم تنفرد حواء بالأكل من الشجرة ولا كانت البادئة، بل كان الخطأ منهما معاً، كما كان الندم والتوبة منهما جميعاً: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 83].

بل في بعض الآيات نسبة الخطأ إلى آدم بالذات وبالأصالة: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَ لَهُ مِنْ عِزْمَةٍ﴾ [طه: 115]، ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَذَكَّرُ هَلْ أَتَاكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: 12].

وقال تعالى: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [طه: 121].

كما نسب إليه التوبة وحده أيضاً: ﴿ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: 122]، مما يفيد أنه الأصل في المعصية وامراته تبع له.

ومهما يكن الأمر فإن خطيئة حواء لا يحمل تبعتها إلا هي، وبناتها براء من إثمها، ولا تزر وازرة وزر أخرى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 134].

4 - وفي مساواة المرأة للرجل في الجزاء: ودخول الجنة يقول الله تعالى: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنُثِّي بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: 195]، فنص القرآن في صراحة على أن الأعمال لا تضيع عند الله، سواء كان العامل ذكراً أم أنثى، فالجميع بعضهم من بعض، من طينة واحدة، وطبيعة واحدة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنُثِّي وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّاهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 97].

- وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنُثِّي وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: 124].

5 - وفي الحقوق المالية للمرأة: أبطل الإسلام ما كان عليه كثير من الأمم - عرباً وعجماً - من حرمان النساء من التملك والميراث، أو التضييق عليهن في التصرف فيما يملك واستبداد الأزواج بأموال المتزوجات منهن، فأثبت لهن حق التملك بأنواعه وفروعه، وحق التصرف بأنواعه المشروعة، فشرع الوصية والإرث لهن كالرجال، وأعطاهن حق البيع والشراء والإجارة والهبة والإعارة، والوقف والصدقة والكفالة والحوالة والرهن وغير ذلك من العقود والأعمال ويتبع ذلك حقوق الدفاع عن مالها، كالدفاع عن نفسها - بالتقاضي وغيره من الأعمال المشروعة<sup>(1)</sup>.

6 - المرأة باعتبارها أمّاً: لا يعرف التاريخ ديناً ولا نظاماً كَرَّم

(1) ملامح المجتمع المسلم، د. القرضاوي، ص: 324.

المرأة باعتبارها أمًا، وأعلى من مكانتها، مثل الإسلام، لقد أكد الوصية بها وجعلها تالية للوصية بتوحيد الله وعبادته، وجعل برّها من أصول الفضائل، كما جعل حقها أوكد من حق الأب لما تحمّله من مشاق الحمل والوضع والإرضاع والتربية، وهذا ما يقرره القرآن ويكرره في أكثر من سورة ليثبت في أذهان الأبناء ونفوسهم وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلُكُمْ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدِكَ إِلَى الْوَصْدِ﴾ [لقمان: 14]، وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: 15]<sup>(1)</sup>.

ومن توجيهات القرآن الكريم: أنه وضع أمام المؤمنين والمؤمنات أمثلة وقدوة حسنة لأمّهات صالحات، كان لهن أثر ومكان في تاريخ الإيمان.

- فأم موسى تستجيب إلى وحي الله وإلهامه، وتلقي ولدها وفلذة كبدها في اليم، مطمئنة إلى وعد ربها قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أُمُّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَاكْلِيهِ فِي إِلَیِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: 7].

- وأم مريم التي نذرت ما في بطنها محرراً لله، خالصة من كل شرك أو عبودية لغيره، داعية الله أن يتقبل منها نذرهما قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَ مِنَّا أَنَّا أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آل عمران: 35].

- فلما كان المولود أنثى على غير ما كانت تتوقع لم يمنعها

(1) ملاحم المجتمع المسلم ص: 328.

ذلك من الوفاء بنذرهما، سائلة الله أن يحفظها من كل سوء قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: 36].

- ومريم ابنة عمران أم المسيح عيسى، جعلها القرآن آية في الطهر القنوت لله والتصديق بكلماته: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا الْقَتْلُينِ﴾ [التحریم: 12] (1).

7 - المرأة باعتبارها بنتاً: كان العرب في الجاهلية يتشاءمون بميلاد البنات، ويضيقون به، حتى قال أحد الآباء - وقد بشر بأن زوجه ولدت أنثى -: والله ما هي بنعم الولد نصرها بكاء وبرها سرقة. يريد أنها لا تستطيع أن تنصر أباه وأهلها إلا بالصراخ والبكاء، لا بالقتال والسلاح، ولا أن تبرهم إلا بأن تأخذ من مال زوجها لأهلها.

وكانت التقاليد المتوارثة عندهم تبيح للأب أن يثد ابنته - يدفنها حية - خشية من فقر قد يقع، أو من عار قد تجلبه حين تكبر على قومها، وفي ذلك يقول القرآن منكرأ عليهم ومقرعأ لهم: ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: 8 - 9].

ويصف حال الآباء عند ولادة البنات، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِذِهِ ۚ أَيْسِرُكُمْ عَلَىٰ هُوَ ۖ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النحل: 58 - 59].

(1) ملامح المجتمع المسلم، ص: 331.

وكانت بعض الشرائع القديمة تعطي الأب الحق في بيع ابنته إذا شاء وبعضها الآخر - كشرعية حمورابي - تجيز له أن يسلمها إلى رجل آخر ليقتلها.

جاء الإسلام فاعتبر البنت كالابن - هبة من الله ونعمة - يهبها لمن يشاء من عباده، قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَنَهَبَ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ۖ (٤٩) أَوْ يَزُوجُهُمْ ذَكَرًا وَإِنثًا فَيَجْعَلُ مِنْ يَشَاءٍ عَاقِبًا ۚ إِنَّكُمْ عِندَهُ قَدِيرٌ ۝ (٥٠)﴾ [الشورى: 49 - 50].

وبين القرآن الكريم في قصصه أن بعض البنات قد تكون أعظم أثراً وأخلد ذكراً، من كثير من الأبناء الذكور، كما في قصة مريم ابنة عمران التي اصطفاها الله وطهرها واصطفها على نساء العالمين، وقد كانت أمها عندما حملت بها تتمنى أن تكون ذكراً يخدم الهيكل، ويكون من الصالحين<sup>(١)</sup>، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتْ أُمُّرَأْتُ عِمْرَانُ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ (٢٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ۚ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۝ (٢٦) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ۝ [آل عمران: 37 - 35].

وجعل رسول الإسلام الجنة جزاء كل أب يحسن صحبة بناته، ويبر على تربيتهن وحسن تأديبهن، ورعاية حق الله فيهن، حتى يبلغن، أو يموت عنهن، وجعل منزلته بجواره ﷺ في دار النعيم

(١) ملاحم المجتمع المسلم، ص: 332 - 333.



المقيم، قال ﷺ: «من كان له ثلاث بنات، فصبر على لأوائهن وضرائهن وسرائهن، أدخله الله الجنة برحمته إياهن»، فقال رجل: واثنتان يا رسول الله؟ قال: واثنتان. قال رجل: يا رسول الله، وواحدة، قال: وواحدة<sup>(1)</sup>.

لم تعد ولادة البنت عبثاً يُخاف منه، وطالع نحس يُتطير به، بل نعمة تُشكر ورحمة تُرجى وتُطلب، لما وراءها من فضل الله تعالى، وجزيل مثوبته، وبهذا أبطل الإسلام عادة الوأد إلى الأبد، وأصبح للبنت في قلب أبيها مكان عميق<sup>(2)</sup>.

8 - المرأة باعتبارها زوجة: كانت بعض الديانات والمذاهب تعتبر المرأة رجساً من عمل الشيطان يجب الفرار منه واللجوء إلى حياة التبتل والرهبة، وبعضها الآخر كان يعتبر الزوجة مجرد آلة متاع للرجل، أو طاءٍ لطمعاه أو خادم لمنزله، فجاء الإسلام يعلن بطلان الرهبانية وينهي عن التبتل ويحث على الزواج ويعتبر الزوجية آية من آيات الله في الكون، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: 21].

وقرر الإسلام للزوجة حقوقاً على زوجها، ولم يجعلها مجرد حبر على ورق، بل جعل عليها أكثر من حافظ ورفيق، من إيمان المسلم وتقواه أولاً، ومن ضمير المجتمع ويقظته ثانياً، ومن حكم الشرع والزامه ثالثاً.

(1) رواه الحاكم وصححه إسناده ووافقه الذهبي (4/ 176).

(2) ملاحم المجتمع المسلم، ص: 334.

وأول هذه الحقوق «الصداق»: الذي أوجبه الله للمرأة على الرجل إشعاراً منه برغبته فيها وإرادته لها قال تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صِدُقَتِهِنَّ فَخُلَّةٌ بَيْنَ يَدَيْكُمْ وَصَدَقْتُنَّ فِي آلِكُلِّ غَيْرٍ إِنَّ لَكُمْ لَعَنَةً مِمَّا كَفَرْتُمْ فَكُلُّوا مِمَّا كَفَرْتُمْ مِنْ يَوْمِهِمْ فَاتُوا النِّسَاءَ﴾ [النساء: 4].

فأين هذا من المرأة التي نجدها في مدنيات أخرى، فدفع هي للرجل بعض مالها، مع أن فطرة الله جعلت المرأة مطلوبة لا طالبة؟

وثاني هذه الحقوق هو «النفقة»: فالرجل مكلف بتوفير المأكل والملبس والسكن والعلاج لامرأته بالمعروف، والمعروف هو ما يتعارف عليه أهل الدين والفضل من الناس بلا إسراف ولا تقتير، قال تعالى: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكُلْفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا آتَاهَا﴾ [الطلاق: 7].

وثالث الحقوق هو «المعاشرة بالمعروف»: قال تعالى: ﴿وَعَايَرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: 19].

وهو حق جامع يتضمن إحسان المعاملة في كل علاقة بين المرء وزوجه، من حسن الخلق، ولين الجانب، وطيب الكلام، وبشاشة الوجه، وتطبيب نفسها بالممازحة والترفيه عنها.

وفي مقابل هذه الحقوق أوجب عليها طاعة الزوج - في غير معصية طبعاً - والمحافظة على ماله، فلا تنفق منه إلا بإذنه وعلى بيته، فلا تدخل فيه أحداً إلا برضاه ولو كان من أهلها.

وهذه الواجبات ليست كثيرة ولا ظالمة في مقابل ما على الرجل من حقوق، فمن المقرر أن كل حق يقابله واجب، ومن

عدل الإسلام أنه لم يجعل الواجبات على المرأة وحدها ولا على الرجل وحده، بل قال تعالى: ﴿وَكُلٌّ مِثْلَ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: 228].

فللنساء من الحقوق مثل ما عليهن من الواجبات ومن جميل ما يروى أن ابن عباس رضي الله عنه وقف أمام المرأة يصلح هيئته، ويعدل من زينته، فلما سئل في ذلك قال: أترين لامرأتي كما تزين لي امرأتي، ثم تلا الآية الكريمة: ﴿وَكُلٌّ مِثْلَ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

وهذا من عميق فقه الصحابة للقرآن الكريم<sup>(1)</sup>.

ولم يهدر الإسلام شخصية المرأة بزوجها، ولم يذبحها في شخصية زوجها، كما هو الشأن في التقاليد الغربية التي تجعل المرأة تابعة للرجل، فلا تُعرف باسمها ونسبها ولقبها العائلي، بل بأنها زوجة فلان.

أما الإسلام فقد أبقى للمرأة شخصيتها المستقلة المتميزة، ولهذا عرفنا زوجات الرسول ﷺ بأسمائهن وأنسابهن، فخديجة بنت خويلد، وعائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر، وميمونة بنت الحارث، وصفية بنت حيي وكان أبوها يهودياً محارباً للرسول ﷺ.

كما أن شخصيتها المدنية لا تنقص بالزواج، ولا تفقد أهليتها للعقود والمعاملات وسائر التصرفات، فلها أن تباع وتشترى، وتوَجَّرَ أملاكها وتستأجر وتهب من مالها وتتصدق وتوكل وتخاصم.

وهذا أمر لم تصل إليه المرأة الغربية إلا حديثاً، ولا زالت في

(1) ملامح المجتمع المسلم، ص: 340.

بعض البلاد مقيدة إلى حد ما بإرادة الزوج<sup>(1)</sup>.

9 - المحافظة على أنوثة المرأة: الإسلام يحافظ على أنوثة المرأة، حتى تظل ينبوعاً لعواطف الحنان والرفقة والجمال، ولهذا أحل لها بعض ما حُرِّم على الرجال، بما تقتضيه طبيعة الأنثى ووظيفتها، كالتحلي بالذهب، ولبس الحرير الخالص، قال رسول الله ﷺ: «إن هذين حرام على ذكور أمتي حل لإنائهم»<sup>(2)</sup>.

كما أنه حرّم عليها كل ما يجافي هذه الأنوثة، من التشبه بالرجال في الزي والحركة والسلوك وغيرها، فهي أن تلبس المرأة لبسة الرجل، كما نهى الرجل أن يلبس لبسة المرأة، ولعن المتشبهات من النساء بالرجال، مثلما لعن المتشبهين من الرجال بالنساء، قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يدخلون الجنة ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المترجلة»<sup>(3)</sup>، والديوث<sup>(4)</sup>.

والإسلام يحمي هذه الأنوثة ويرعى ضعفها فيجعلها أبداً في ظل رجل مكفولة النفقات، مكفية الحاجات، فهي في كف أبيها أو زوجها أو أولادها أو إخوتها يجب عليهم نفقتها، وفق شريعة الإسلام، فلا تضطرها الحاجة إلى الخوض في لجج الحياة وصراعها ومزاحمة الرجال بالمناكب.

(1) ملامح المجتمع المسلم، ص: 341.

(2) سنن ابن ماجه رقم 3595.

(3) المترجلة: المتشبهة بالرجال.

(4) مسند أحمد رقم 1680 إسناده صحيح، الديوث: الذي لا يبالي من دخل على أهله.

والإسلام يحافظ على خُلُقها وحياتها، ويحرص على سمعتها وكرامتها ويصون عفافها من خواطر السوء، وألسنة السوء - فضلاً عن أيدي السوء أن تمتد إليها -.

ولهذا يوجب الإسلام عليها:

أ - الغض من بصرها والمحافظة على عفتها ونظافتها:

قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: 31].

ب - الاحتشام والتستر في لباسها وزينتها دون إعنات لها ولا تضيق عليها: قال تعالى: ﴿وَلَا يَبْدِيَنَّ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: 31].

ج - ألا تبدي زينتها الخفية - كالشعر والعنق والنحر والذراعين والساقين - إلا لزوجها ومحارمها الذين يشق عليها أن تستر منهم استتارها من الأجانب: ﴿وَلَا يَبْدِيَنَّ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ النِّسَاءِ عَلَى عَوَاتِرِ النِّسَاءِ أَوْ الْوَلَدِ الَّذِي لَهَا يَنْظُرُونَ إِلَى غَوَرَاتِ النِّسَاءِ﴾ [النور: 31].

د - أن تتوقر في مشيتها وكلامها قال تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: 31].

وقال: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: 32]. فليست ممنوعة من الكلام، وليس صورتها عورة، بل هي مأمورة، أن تقول قولاً معروفاً<sup>(1)</sup>.

هـ - أن تتجنب كل ما يجذب انتباه إليها: ويغريه بها، من تبرج الجاهلية الأولى أو الأخيرة، فهذا ليس من خلق المرأة العفيفة قال رسول الله ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ ثُمَّ خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهَا لِيَشْمَ النَّاسَ رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ»<sup>(2)</sup>.

و - أن تمتنع عن الخلوة بأي رجل ليس زوجها ولا محزماً لها صوناً لنفسها ونفسه من هواجس الإثم، ولسمعتها من ألسنة الزور، قال رسول الله ﷺ: «لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ»<sup>(3)</sup>.

ز - ألا تختلط بمجتمع الرجال الأجانب إلا لحاجة داعية، ومصحة معتبرة وبالقدر اللازم، كالصلاة في المسجد، وطلب العلم، والتعاون على البر والتقوى، بحيث لا تحرم المرأة من المشاركة في خدمة مجتمعها، ولا تنسى الحدود الشرعية في لقاء الرجال.

إن الإسلام بهذه الأحكام يحمي أنوثة المرأة من أنياب المفترسين من ناحية ويحفظ عليها حياءها وعفافها بالبعد عن عوامل الانحراف والتضليل من ناحية ثانية، ويصون عرضها من ألسنة

(1) ملامح المجتمع المسلم، ص: 366 - 367.

(2) سنن الترمذي رقم 2786، حسن صحيح.

(3) البخاري رقم 1088، فتح الباري (2/ 659).

المفترين والمرجفين من ناحية ثالثة، وهو - مع هذا كله - يحافظ على نفسها وأعصابها من التوتر والقلق، ومن الهزات والاضطرابات، نتيجة لجموح الخيال، وانشغال القلب، وتوزع عواطفه بين شتى المثيرات والمهيجات وهو أيضاً - بهذه الأحكام والتشريعات - يحمي الرجل من عوامل الانحراف والقلق ويحمي المجتمع كله من عوامل السقوط والانحلال<sup>(1)</sup>.

#### الرابع عشر: بناء الأمة الشاهدة على الناس:

من أهداف الإسلام الأساسية، تكوين «الأمة» متميزة. واستطاع النبي ﷺ تحقيق ذلك وفق رؤية واضحة مبنية على عقيدة راسخة وشريعة حاکمة وتخلص العرب من الفرقة والشتات والعصبيات القبلية والنعرات الجاهلية، وانتقلوا نقلة كبيرة في عالم الفكر وعالم الشعور، وعالم الواقع، وأصبحت تلك القبائل أمة واحدة، تعبد إلهاً واحداً وتخضع لكتاب واحد وتنقاد لزعامه الرسول ﷺ المبين والمعتبر والموضح لهم التعاليم الإلهية، وأصبحت هذه الأمة لا تقوم على رابطة عرقية ولا لونية ولا إقليمية ولا طبقية بل هي أمة عقيدة ورسالة قبل كل شيء.

هي أمة الإسلام أو أمة المسلمين كما قال الله تعالى: ﴿هُوَ سَمَنَكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: 78]<sup>(2)</sup>،<sup>(3)</sup>.

(1) ملامح المجتمع المسلم، ص: 368.

(2) كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ص: 97.

(3) في ظلال القرآن (129/1) سيد قطب.

فقد أخرج الله الأمة المسلمة - التي قادها النبي ﷺ - لتؤدي دوراً كونياً كبيراً، ولتحمل منهجاً إلهياً عظيماً، ولتنشئ في الأرض واقعاً فريداً، ونظاماً جديداً، وهذا الدور الكبير يقتضي التجرد والعطاء، والتميز والتماسك وبتعبير مختصر يقتضي أن تكون طبيعة هذه الأمة من العظمة بحيث تسامي عظمة الدور الذي قدره الله لها في هذه الحياة وتسامي المكانة التي أعدها الله لها في الآخرة<sup>(1)</sup>.

ولم تنل هذه الأمة هذه المكانة السامية بين الأمم مصادفة ولا جزافاً ولا محاباة، فالله ﷻ منزه عن أن يكون في ملكه شيء من ذلك، فكل شيء عنده بمقدار، وهو يخلق ما يشاء ويختار، وهو سبحانه عندما أخبر أن هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، بين وجه ذلك وعلمته في نفس الآية، فقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 110]، فهذه الأمور الثلاثة العظيمة القدر كانت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، على أن هذه الأمور ليست هي كل ما كانت به هذه الأمة خير أمة إذ هناك أمور وخلال كثيرة أهلت هذه الأمة لهذه الخيرية، ولكن هذه الثلاثة أهمها وأعظمها، إذ لا تدوم ولا تستمر هذه الخيرية ولا تحفظ إلا بإقامتها وأدائها، فإن فقدت هذه الأمور في جيل من أجيال هذه الأمة لم يكن حرياً بهذه الخيرية التي حظيت بها<sup>(2)</sup>.

(1) في ظلال القرآن الكريم ص: 71.

(2) الوسطية في القرآن الكريم، للصلابي ص: 71.



## أوصاف الأمة الأساسية في القرآن:

أبرز ما يميز هذه الأمة عن غيرها من الأمم أوصاف أربعة:

### 1 - الربانية:

ربانية المصدر، وربانية الوجهة، فهي أمة أنشأها وحي الله تعالى وتعهدها تعاليمه وأحكامه، هي من اكتمل لها دينها، وتمت به نعمة الله عليها، كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [آل عمران: 3].

قال تعالى هو صانع هذه الأمة، ولهذا نجد القرآن الكريم يقول: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: 143]، فهذا التعبير ﴿جَعَلْنَاكُمْ﴾ يفيد أن الله هو جاعل هذه الأمة ومستخدمها وصانعها.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110]، فتعبير «أُخْرِجَتْ» يدل على أن هناك مُخرجاً أخرج هذه الأمة، فهي لم تظهر اعتباطاً، ولم تكن نباتاً برياً ينبت وحده دون أن يزرعه زارع، بل هو نبات مقصود متعهد بالعناية والرعاية والذي أخرج هذه الأمة وزرعها وهياها لرسالتها هو الله جل شأنه.

فهي أمة مصدرها رباني، ووجهتها ربانية كذلك، لأنها تعيش لله، ولعبادة الله، ولتحقيق منهج الله في أرض الله فهي من الله وإلى الله، كما قال تعالى لرسوله: ﴿قُلْ إِنَّا صَلَافِي وَتُشْكِي وَنَحْيَاي وَمَكَافِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿لَا شَرِيكَ لَكَ﴾ [الأنعام: 162 - 163].

### 2 - الوسطية:

والثاني: الوسطية التي تؤهل هذه الأمة للشهادة على الناس

وثبوتها مكان الأستاذية للبشرية، وفيها جاءت الآية الكريمة: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143].

ومن وسطية شاملة جامعة، ووسطية في الاعتقاد والتصور ووسطية في الشعائر والتعبد ووسطية في الأخلاق والسلوك، ووسطية في النظم والتشريع ووسطية في الأفكار والمشاعر، ووسطية بين الروحية والمادية، بين المثالية والواقعية، بين العقلانية والوجدانية، بين الفردية والجماعية بين الثبات والتطور<sup>(1)</sup>.

إنها الأمة التي تمثل «الصراط المستقيم» بين السبل المتعرجة والملتوية، صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين لا صراط المغضوب عليهم ولا الضالين.

### 3 - الدعوة:

والوصف الثالث: الدعوة فهي أمة دعوة ورسالة وليست أمة منكفئة عن نفسها تحتكر رسالة الحق والخير والهداية لذاتها، ولا تعمل على نشرها في الناس، بل الدعوة فريضة عليها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الإيمان بالله أساس تفضيلها على كل الأمم.

إن رسالة الإسلام رسالة عالمية رسالة لكل الأجناس، ولكل

(1) كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ص: 98.

الألوان، ولكل الأقاليم، ولكل الشعوب، ولكل اللغات.

قال تعالى: ﴿بَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 1].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَذَكَّرُ النَّاسُ مِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: 158].

#### 4 - الوحدة:

والوصف الرابع: الوحدة: فالأمة التي يريد بها الإسلام أمة الوحدة، وإن تكونت من عروق وألوان وطبقات فقد صهرها الإسلام جميعاً في بوتقته، وأذاب الفوارق بينها وربطها بالعروة الوثقى لا انفصام لها.

- قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 92].

- وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: 52].

ولهذا لا يجوز أن نقول في تعبيرنا: الأمم الإسلامية، بل الأمة الإسلامية فهي أمة واحدة كما أمر الله، وليست أمماً متفرقة كما أراد الاستعمار وهي أمة ذات شعوب كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: 13]، فلا بأس أن نقول الشعوب الإسلامية بدل «الأمم الإسلامية»<sup>(1)</sup>.

(1) كيف نتعامل مع القرآن العظيم ص: 101.

ومن المفيد هنا أن ننبه على قضية ذات شأن وهي: أن الإيمان بـ «الأمة» المؤسسة على عقيدة الإسلام وأخوة الإيمان، والتي تضم جميع المسلمين في رحابها حيث كانوا. لا ينفي أن هناك خصوصيات معينة لكل قوم يعتزون بها، ويحافظون عليها، ولا يُفَرِّطون فيها، ولا مانع من ذلك إذا لم تتحول إلى عصبية عرقية تقاوم أخوة الإسلام أو إلى نزعة أنانية انفصالية تهدد وحدة دولة الإسلام.

ولقد ترك رسول الله ﷺ وأصحابه من بعده القبائل تقاتل تحت راياتها الخاصة في ظل القيادة الإسلامية العامة، ليكون ذلك مصدراً إضافياً لحماسهم وإقدامهم حتى لا يجلبوا العار على أقوامهم وعشائرتهم.

إن حب الرجل لقومه وعشيرته ورغبته في جلب الخير لهم، ودفع الشر عنهم: نزعة فطرية لا غبار عليها، ولا خطر فيها، كما لا خطر في حبه لأسرته، واهتمامه بها.

إن الخطر إنما يتمثل فيما إذا وقفوا موقفاً معادياً للإسلام وحادوا الله ورسوله، هنا تحرم المودة والموالة ولو كانت لأقرب الناس للإنسان، كأمه وأبيه وبناته وبنيه وزوجه وأخيه، قال تعالى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: 22].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَوَلَّيَكَ هُمْ الظَّالِمُونَ﴾ (٢٣) قَدْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ

وَأَمْرًا أَفْتَرْتُمَا وَتَجَرَّةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكِنٌ تَرَضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْفِكَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ [التوبة: 23-24].

لابأس أن يحب الرجل أسرته، ويحب قومه وعشيرته وشعبه ولكن إذا تعارض ذلك مع حب الله ورسوله فإن حب الله ورسوله أغلى من كل شيء. هنا يتغنى المسلم بقول القائل:

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم<sup>(1)</sup>  
الخامس عشر: السماحة:

السماحة أول أوصاف الشريعة وأكبر مقاصدها والسماحة سهولة المعاملة فيما اعتاد الناس فيه المشادة، فهي وسط بين الشدة والتساهل، ولفظ السماحة هو أرشق لفظ يدل على هذا المعنى، يقال سمح فلان إذا جاء بمال له. قال المقنع الكندي:

ليس العطاء من الفضول سماحة حتى تجود وما لديك قليل  
فالسماحة أخص من الجود، ولهذا قابلها زياد الأعجم بالندی في قوله:

إن السماحة والمروءة والندی قي قُبَّةٍ ضُربت على ابنِ الحُشْرَجِ  
فتدل السماحة على خلق الجود والبذل، وفي الحديث عن جابر ابن عبد الله قال رسول الله ﷺ: «رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع، سمحاً إذا اشترى، سمحاً إذا اقتضى»<sup>(2)</sup>.

(1) كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ص: 102.

(2) البخاري رقم 2076.

فالسماحة من أكبر صفات الإسلام الكائنة وسطاً بين طرفي إفراط وتفریط، وفي الحديث الصحيح عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ: «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة»<sup>(1)</sup>.

فرجع معنى السماحة إلى التيسير المعتدل، وهو معنى اليسر الموصوف به الإسلام، قال تعالى: «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ» [البقرة: 185].

واستقراء الشريعة يدل على هذا الأصل في تشريع الإسلام، فليس الاستدلال عليه بمجرد هذه الآية أو هذا الخبر، حتى يقول معترض إن الأصول القطعية لا تثبت بالظواهر، لأن أدلة هذا الأصل كثيرة منتشرة وكثرة الظواهر تفيد القطع ولهذا قال الإمام مالك بن أنس في مواضع من الموطأ ودين الله يسر وحسبك بهذه الكلمة من ذلك الإمام، فإنه ما قالها حتى استخلصها من استقراء الشريعة إن السماحة أكمل وصف لاطمئنان النفس وأعون على قبول الهدى والإرشاد<sup>(2)</sup>، قال تعالى: «فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَهْتُمْ وَلَوْ كُنْتُمْ قَطًّا غَلِظَ الْقَلْبُ لَاَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكُمْ» [آل عمران: 159].

إن حكمة السماحة في الشريعة أن الله جعل هذه الشريعة دين الفطرة، وأمور الفطرة راجعة إلى الجبلة فهي كائنة في النفوس سهل عليها قبولها، ومن الفطرة النفور من الشدة والإعنات، قال تعالى: «يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا» [النساء: 28].

وقد أراد الله أن تكون الشريعة الإسلامية شريعة عامة دائمة،

(1) البخاري الأدب المفرد رقم 188.

(2) أصول النظام الاجتماعي، محمد الطاهر عاشور، ص: 51.

فاقتضى ذلك أن يكون تنفيذها بين الأمة سهلاً، ولا يكون ذلك إلا إذا انتفى عنها الإعانات، بسماحتها أشد ملائمة للنفس، لأن فيها إراحة النفس في حالي خُويصتها ومجتمعها<sup>(1)</sup>.

وقد ظهر للسماحة أثر عظيم في انتشار الشريعة وطول دوامها، إذ أَرانا التاريخ أن سرعة امتثال الأمم للشرائع ودوامهم على اتباعها كان على مقدار اقتراب الأديان من السماحة، فإذا بلغ بعض الأديان من الشدة حداً متجاوزاً لأصل السماحة لحق اتباعه العنت ولم يلبثوا أن ينصرفوا عنه أو يفرطوا في معظمه<sup>(2)</sup>.

وقد حافظ الإسلام على استدامة وصف السماحة لأحكامه، فقدر لها أنها إن عرض لها من العوارض الزمنية أو الحالية ما يصيرها مشتملة على شدة انفتاح لها باب الرخصة المشروع بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: 173].

وبقوله: ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: 119]، وفي الحديث: «إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه»<sup>(3)</sup>.

ومن قواعد الفقه المشهورة: المشقة تجلب التيسير<sup>(4)</sup>.

1 - ومن سماحة القرآن الكريم، إنكاره على أصحاب النزعات المتطرفة والذين يحرمون الطيبات والزينة التي أخرج لعباده.

(1) مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر، ص: 271.

(2) أصول النظام الاجتماعي، ص: 52.

(3) صحيح ابن حبان رقم 354.

(4) أصول النظام الاجتماعي، ص: 52.

- قال تعالى: ﴿يَنْبَغِي مَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ تَفْصِلُ أَلَّذِينَ لِقَوْرِ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ [الأعراف: 31 - 32].

وفي القرآن المدني، يخاطب الجماعة المؤمنة بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْزَنْهُمْ طَبِيبَاتٌ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٨٧) وَكُلُوا مِنَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ [المائدة: 87 - 88].

وهاتان الآيتان الكريمتان تبيان للمسلمين حقيقة منهج الإسلام في التمتع بالطيبات ومقاومة الغلو الذي وجد في بعض الأديان، أو عند بعض المتنطعين<sup>(1)</sup>.

2 - ومن سماحة الإسلام أيضاً: ما يتبعه من منهج في الدعوة إلى الله ﷻ، وجدال المخالفين، ففي القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125].

ومن تأمل الآية الكريمة يجد أنها لا تكتفي بالأمر بالجدال بالطريقة الحسنة، بل أمرت بالتي هي أحسن، فإذا كان هناك طريقتان للحوار والمناقشة إحداهما: حسنة والأخرى أحسن منها، وجب على المسلم أن يجادل بالتي هي أحسن جذباً للقلوب النافرة وتقريباً للأنفس المتباعدة<sup>(2)</sup>.

(1) سماحة الإسلام، عمر عبد العزيز، ص: 370.

(2) المصدر نفسه ص: 30.



3 - من سماحة النبي ﷺ: جاء فتى من قريش إلى النبي ﷺ يستأذنه في الزنا، فثار الصحابة وهموا به لجرأته على النبي ﷺ، ولكن النبي ﷺ وقف موقفاً آخر فقال: «ادنه» فدنا فقال: «أتحبه لأملك؟» قال: لا والله، جعلني الله فداك؟ قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم»، ثم قال له مثل ذلك في ابنته وأخته وعمته وخالته، في كل ذلك يقول: «أتحبه لكذا؟» فيقول: لا جعلني الله فداك، فيقول ﷺ: «ولا الناس يحبونه...» فوضع يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحسن فرجه، فلم يكن بعد ذلك يلتفت إلى شيء»<sup>(1)</sup>.

وإنما عامله النبي ﷺ بهذا الرفق، تحسناً للظن به، وأن الخير كامن فيه والشر طارئ عليه، فلم يزل يحاوره حتى اقتنع عقله، واطمأن قلبه إلى خبث الزنا وفحشه، وكسب مع ذلك دعاء النبي ﷺ<sup>(2)</sup>.

#### الرابع عشر: الرحمة:

وهي من الأخلاق القرآنية العظيمة التي كانت لها العناية الكبرى في القرآن الكريم من حيث ذكرها والتوبة بشأنها لما لها من عظيم الأثر في الحياة الدينية والدنيوية<sup>(3)</sup>.

##### 1 - الرحمة صفة من صفات الله تعالى:

وهي صفة من صفات الحق تبارك وتعالى التي وصف بها نفسه

(1) مسند أحمد (5/256).

(2) سماحة الإسلام، د. عمر عبد العزيز، ص: 31.

(3) أخلاق النبي في القرآن والسنة، د. أحمد الحداد (2/611).

كثيراً في القرآن العظيم في نحو مائتي آية، فضلاً عند تصدر كل سورة بصفتي الرحمن الرحيم، وذلك البسملة التي هي آية من كل سورة عدا سورة براء<sup>(1)</sup>.

وذلك للدلالة على مبلغ رحمته العظيمة وشمولها العام بعباده ومخلوقاته.

- قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَنْتَعِمُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: 156 - 157].

- وقال تعالى على لسان ملائكته الكرام: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: 7].

- وقال تعالى تعليماً للنبي ﷺ أن يقول للمشركين إن هم كذبوه: ﴿رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسِعَتْ وَلَا يُرْدُ بِأَسْمِهِ عَنِ الْقَوْرِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: 147].

ولقد قرر الله تعالى في كتابه الكريم أن الرحمة صفته الثابتة التي لا تزول عنه أبداً، كما قال سبحانه: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: 54].

وقد ظهرت آثار رحمته في الخليقة كلها، فما من أحد مسلم أو كافر إلا وعليه من آثار رحمته في هذه الدنيا فيها يتعايشون ويؤاخون، ويوآدون، وفيها يتقبلون لكنها للمؤمنين خاصة في الآخرة

(1) أخلاق النبي في القرآن والسنة، د. أحمد الحداد (2/ 612).

لا حظ للكافرين فيها<sup>(1)</sup>.

## 2 - من مظاهر رحمته بخلقه:

وقد كانت أجل مظاهر رحمة الله تعالى أن بعث لهم رسوله تترى، ثم بعث خاتم أنبيائه وسيد رسله وصفوته من خلقه محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه الذي أمتن به على الأمة وكشف به الظلمة وأزاح به الغمة، وجعله رحمة للعالمين أجمعين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].

وكما قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128].

- وقد حدث النبي ﷺ عن رحمة الله تعالى ومبلغ سعتها وكنهها، فقال: «إن الله لمَّا قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي»<sup>(2)</sup>.

- وقال رسول الله ﷺ: «جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء تراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه»<sup>(3)</sup>.

- ومن حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قُدم على رسول الله ﷺ بسبي، فإذا امرأة من السبي تسعى قد تحلب ثديها، إذا

(1) محاسن التأويل (157/7) للقاسمي.

(2) صحيح مسلم رقم 2751.

(3) صحيح مسلم رقم 2754.

وجدت صبيّاً في السبي أخذته وألصقته ببطنها وأرضعته، فقال رسول الله ﷺ: «أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟» قلنا: لا والله وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال رسول الله ﷺ: الله أرحم بعباده من هذه بولدها<sup>(1)</sup>.

### 3 - حض المؤمنين على التحلي بها:

ندب الله تعالى عباده إلى التحلي بالرحمة، وحثهم عليها في بعض مواطنها لكبير أهميتها في تلك المواطن لينالوا أجرها وعظيم ثوابها، وذلك كالرحمة بالوالدين اللذين عظم الله شأنهما وقرن شكرهما بشكره، وطاعتهما بطاعته، فكانت الرحمة عند الكبر محتمّة حيث قال تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: 24].

وقد قال الله جل ذكره في شأن أصحاب محمد ﷺ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: 29].

- كما أثبتنا يلزمها لهم ولمن اتصف بصفاتهم بقوله سبحانه: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: 54].

إذ الذلة التي يتحلون بها فيما بينهم بسبب التراحم بينهم، وهذا دليل على أن الرحمة من أجل صفات المؤمنين حيث كان حديث القرآن عن الرحمة لديهم في معرض الامتنان والثناء والمدح البليغ،

(1) صحيح مسلم رقم 2754، تحلّب: اجتمع حليب ثديها فيه.

مما يدل على عظيم مكانة المتراحمين من المسلمين عند الله تعالى، وقد دلَّ على ذلك ما أعدَّه الله تعالى لهم من الأجر والثواب الذي أخبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ۖ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۖ﴾ [البلد: 17 - 18].

أي أصحاب اليمين الذين يعطون كتبهم بأيمانهم والذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَأَصْحَابُ الِّيمَنِ مَأْ أَصْحَابُ الِّيمَنِ ۖ﴾ في يَدْرِ مَحْضُورِ ﴿٢٨﴾ وَطَلِحَ مَحْضُورِ ﴿٢٩﴾ وَطَلِحَ مَحْضُورِ ﴿٣٠﴾ وَمَاءُ مَسْكُوبِ ﴿٣١﴾ وَفَكَهْمِ كَبِيرِ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعِ وَلَا مَمْنُوعِ ﴿٣٣﴾ وَفَرَشِ مَرُوعِ ﴿٣٤﴾ [السواقعة: 27 - 34]<sup>(1)</sup>.

وقد كان رسول الله ﷺ القدوة الحسنة في تحقيق هذا المقصد وهو الرحمة بالعالمين، فكانت رحمته بالمؤمنين، وبالأهل والعيال وبالضعفاء والكافرين والحيوان وكتب السيرة مليئة بالمواقف والأحاديث الدالة على ذلك.

### السابع عشر: الوفاء بالعهود والعقود:

والوفاء من أخلاق السلوك الاجتماعية العظيمة، التي كان للقرآن الكريم بها عناية فائقة لما له من عظيم الدلالة على تزكية النفوس، وصفاء الفطر وسلامة الإيمان<sup>(2)</sup>.

#### 1 — الترغيب بالوفاء بالعهد:

رغب الله تعالى بالوفاء بالعهود بما أعدَّ الله لهم من الثواب

(1) أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة (2/ 615).

(2) أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة (2/ 549).

وبما أثنى به عليهم في محكم الكتاب، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِثْلُ بَرٍّ عَظِيمٍ﴾ [الفتح: 10].

وقد فصل في آيات أخرى عظمة ذلك الأجر فقال: ﴿إِنَّمَا يَذْكُرُ أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ﴾ (١٩) الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخْلِفُونَ صَوْءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَمْ يُغْفَى لَهُمُ الدَّارِ (٢٢) جَنَّتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَاللَّهُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمْ عُفِيَ الدَّارِ (٢٤) [الرعد: 19-24].

فترى أن ذلك الأجر العظيم لم يقتصر عليهم بل سرى إلى أصولهم وفروعهم وأهليهم وأي نعيم للمرء أكبر من أن يصحبه فيه أصوله وفروعه وأهلوه، لا جرم لا يفرط عاقل بهذا الشناء وذلك الجزاء بعد أن يعلمه وهو قادر على أن يناله إلا أن يكون ممن غلبت عليه شقوته، وأولئك لهم سوء الدار.

## 2 - الأوامر القرآنية بالوفاء بالكيل والوزن:

الوفاء بالكيل والوزن، وهو المجال الذي يتعلق كلية بحقوق الآخرين، وما يترتب عليه من قوام حياتهم ومعاشهم، وهو المجال الذي لا سبيل إلى التساهل فيه لأنه مبني على المشاحة والمقاصة، فالوفاء فيه يصلح للناس أحوالهم، ويحفظ لهم حقوقهم، ولهذا تكرر الأمر به في القرآن الكريم خمس مرات منها:

- قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾

[الأنعام: 152].

- وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الإسراء: 35] (1).

وتحدث القرآن الكريم عن شعيب عليه السلام مع قومه، فقد كان قومه بحكم موقع بلادهم الجغرافي يتحكمون في طرق التجارة الموصلة بين شمال الجزيرة وجنوبها، وبين مصر والشام وبلاد العراق، فكانوا يفرضون على الناس ما شاءوا من المعاملات التجارية الجائرة، سعيًا إلى جني الربح الفاحش، دون مراعاة لما يقع على غيرهم من الظلم والغبن، وقد شاعت فيهم هذه المعاملات حتى صارت أمراً متعارفاً عليه عندهم، فلما بعث الله شعيباً عليه السلام استهل دعوته بمحاربة ما كانوا عليه من عبادة الأصنام والأوثان، ثم ثنى بمحاربة تلك المعاملات الجائرة، ومن أبرزها نقص الميزان والمكيال (2).

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْفَوْرُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 85].

ولهذه الآية نظائر في سورة هود، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْفَوْرُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَبْخُسُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ

(1) أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة (2/ 554).

(2) أسباب هلاك الأمم السالفة، سعيد محمد بابا، ص: 450.

تُحِيطُ ﴿٨٤﴾ وَيَقْتَرِفُوا أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ [هود: 84 - 85].

وقال تعالى في سورة الشعراء: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ [الشعراء: 181].

ونجد تركيز شعيب على معالجة هذا الانحراف المتأصل في قومه بأساليب مختلفة، شملت الأمر والنهي والترغيب والترهيب.

وقد كان لقوم شعيب معاملات أخرى جائزة غير نقص المكيال والميزان وذلك أمر متوقع ممن يمارس هذا العمل ونجد شعيباً يذكر هذه المعاملات في جملة من الأمور التي نهاهم عنها وهي:

أ - بخس الناس أشياءهم: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [الأعراف: 85].

والبخس في الأصل هو النقص، ومن أحسن ما قيل في حده قول ابن العربي رحمه الله: البخس في لسان العرب هو النقص بالتعيب والتزهيد، أو المخادعة عن القيمة أو الاحتيال في التزيد في الكيل أو النقصان منه<sup>(1)</sup>.

فالبخس على هذا أعم من نقص الميزان والمكيال، فإنه يكون في المكيل والموزون وغيرهما كالمعدودات، والمقدرات فيعم كل تصرف يُقصد منه انتقاص حقوق الناس، ولذلك صور كثيرة لا تنفصي<sup>(2)</sup>.

(1) أحكام القرآن (2/318).

(2) أسباب هلاك الأمم السالفة، سعيد محمد بابا، ص: 450.



ب - الفساد في الأرض: وقد ورد في قوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: 85].

وقوله: ﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [هود: 85].

والفساد في الأرض أعم من كل ما سبق، فيدخل فيه كل معصية كانوا يعملونها، من عبادة غير الله، ونقص المكيال والميزان وبخس الناس حقوقهم وغير ذلك<sup>(1)</sup>.

ج - قطع الطريق: قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ ثَوِّعْتُونُ﴾ [الأعراف: 86]. وفي هذه الآية نهْي عما كانوا يفعلونه من القعود في طريق من يريد المجيء إلى شعيب لسماع دعوته، فيصدونه ويقولون: إنه كذاب<sup>(2)</sup>، وهذا من الأوجه التي حُمِلت هذه الجملة، وذكر فيها وجهان آخران، أولهما: قطع الطريق وسلب أموال الناس، وثانيهما: القعود في الطرق لأخذ العشور من الناس وجَوَز الشوكاني رحمه الله حمل الحملة على هذه الأوجه كلها<sup>(3)</sup>.

وعلى الرغم من الجهود التي بذلها شعيب عليه السلام في معالجة هذه الانحرافات في قومه فإنه لم يلق منهم غير العناد والإصرار، وذلك لشيوع تلك الانحرافات بينهم وتأصلها فيهم، وفي آخر الأمر ردوا عليه ردًا قبيحاً، إذ اعتبروا محاولاته في صرفهم عن معاملاتهم الجائرة ضرباً من الهذيان سببه ما يدوم عليه من الصلاة، قال تعالى: ﴿قَالُوا بِشُعَيْبٍ اَصْلَوْكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ

(1) أسباب هلاك الأمم السالفة، سعيد محمد بابا، ص: 451.

(2) المصدر نفسه، ص: 451.

(3) المصدر نفسه، ص: 452، فتح القدير (224/2).

أَنْ تَفْعَلَ فِيْ أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَكِيمُ الرَّشِيدُ» [هود: 87]، فقولهم: «أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِيْ أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ» يعنون به ما درجوا عليه من نقص المكيال والميزان وبخس الناس حقوقهم وسائر معاملاتهم الظالمة، فاستهزؤوا بشعيب، وأنكروا عليه تدخله في تلك الأمور، بدعوى أن الأموال لهم، وهم أحرار فيها، يتصرفون فيها كيف شاؤوا، ويفرضون على الناس ما يحقق لهم الأرباح.

وهذا عين ما يردده المنحرفون عن المنهج الرباني في هذا العصر، بل وفي كل عصر، يتعاطون أكل أموال الناس بالباطل عن طريق الغش والخداع، والحيل والربا وسائر المعاملات المحرمة، فإذا نهوا عن ذلك تعللوا واحتجوا بما يسمونه بحرية الاقتصاد، واستنكروا أن يتدخل الدين في هذه الأمور<sup>(1)</sup>.

والأجدر بهؤلاء، لا سيما المنتسبين منهم إلى الإسلام أن يعتبروا بما حلّ بأشباههم في سالف الأزمان من الهلاك بسبب معاملاتهم الظالمة وإصرارهم عليها، أفيأمن أحدهم أن يأخذه الله بعاجل العذاب، ويجعله عبرة لأهل زمانه ولمن بعده، كما جعل قوم شعيب عبرة لأهل زمانهم ولمن بعدهم والعاقل من اتعظ بغيره، لا من وعظ به غيره<sup>(2)</sup>، فقد كان قوم شعيب أهل شرك وكفر، وتطيف للمكاييل والموازين، ولم يُجد معهم دعوة شعيب إياهم

(1) في ظلال القرآن، (4/ 609).

(2) أسباب هلاك الأمم السالفة، ص: 453.

إلى التوحيد، وإيفاء الكيل والميزان، بل ازدادوا عناداً وإصراراً، فأصابتهم الظلة وهي سحابة أظلتهم، فيها شرر من نار ولهب، ووهج عظيم، ثم جاءتهم صيحة من السماء ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم، فزهقت الأرواح وفاضت النفوس، وخمدت الأجسام<sup>(1)</sup>.

### 3 — الأمر بالوفاء بالعقود:

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: 1].  
ومعنى الآية: يا أيها الذين التزمتم بإيمانكم أنواع العقود والعهود في إظهار طاعة، أوفوا بتلك العقود التي التزمتم بها وإنما سمي الله تعالى هذه التكاليف عقوداً، لأنه ربطها بعباده كما يربط الشيء بالشيء بالحبل الموثق<sup>(2)</sup>، فالآية الكريمة تنادي الموصوفين بالإيمان أن يفوا بالعقود التي التزموا بها، ووصفهم بالإيمان تهييجاً لهم على الوفاء بالعقود، لأن ذلك من مقتنيات الإيمان الذي تعلوا به<sup>(3)</sup>.

### 4 — الأمر بالوفاء بالنذر:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ<sup>(4)</sup> وَلِيُوفُوا نَذْرَهُمْ وَلِيَبْطَرُوا<sup>(5)</sup> يَابَسَتِ الْعَيْنُ﴾ [الحج: 29].

والنذور: جمع نذر وهو التزام قربة لم تتعين في الشرع<sup>(5)</sup>،

(1) تفسير ابن كثير (2/ 242).

(2) التفسير الكبير (11/ 123).

(3) أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة (2/ 558).

(4) أي ليزيلوا أوساخهم وشعثهم كطول الشعر والظفر.

(5) اليقوت النفيس للشاطري، ص: 264.

ومنه ما وردت فيه الآية مما ينذره الحاج من أعمال البر في حجه من هدي ونحوه.

وهو ما شملته آية المائدة السابقة، لأن عقد يعقده المؤمن مع الله تبارك وتعالى فإفراده بالذكر من بين سائر العقود يدل على أهمية الوفاء به وحتى لا يفرط فيه المؤمن فيتخلى عن عدم الإيفاء به لعدم المطالب في الدنيا، إذ لا ينزع على الإيفاء به إلا قوة الإيمان<sup>(1)</sup>.

ولذلك كان تهديد الله تعالى للمفرطين به مخيفاً حيث قال: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [البقرة: 270].

فإذا كان النذر يعلمه الله تعالى فإن رهن المجازاة به أداء أو تفريطاً، فلا يخادع إلا نفسه إن هو لم يف به أما إذا وقى به فإنه يكون ذا مكانة عالية عند الله تعالى، كما يدل عليه تنويه الله تعالى بأهل هذا الخلق العظيم في كتابه الكريم<sup>(2)</sup>.

## 5 — تنويه القرآن الكريم بأهل الوفاء:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَذْكُرُ أُولَ الْأَنْبِيَاءِ ۖ الَّذِينَ يُوَفُّونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْفُضُونَ الْبَيْعَ﴾ [الرعد: 20-19].

فنتعهم الله تعالى بأولي الألباب، أي: أصحاب عقول، حيث هدتهم عقولهم إلى وجوب احترام العهود والمواثيق التي التزموا بها لخالقهم في الإيمان والعبادة، والمخلوقين في المعاملات والسلوك،

(1) أخلاق النبي ﷺ في الكتاب والسنة (2/ 559).

(2) أخلاق النبي ﷺ في الكتاب والسنة (2/ 559).

فلا ينقضون عهداً ولا ميثاقاً ومنها قوله سبحانه في سياق تعدد صفات أهل البر من عباده، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالْقَادِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: 177].

فوصف الله تعالى أصحاب هذه الأخلاق، ومنها خلق الوفاء بأنهم أهل صدق وأهل تقوى، وذلك لأنهم صدقوا ما عاهدوا الله عليه، واتقوا عذابه وعقابه الذي وعد به الناكثين والخائنين، فتأمل مبلغ هذا الثناء من الملك الجليل المتضمن للتنويه العظيم بأهل تلك الأخلاق الكريمة تجد التعبير قاصراً عن إدراك كنهه، لما ينطوي عليه من الجزاء الكبير المعد لأولئك الموصفين بهذه الصفات، إذ هو بحسب مقام المُثْنِي والمُثَبِّب، وجعلنا الله ممن نال حظاً من ثنائه وجزائه الكريم، فإن جزاءه الكريم لهو الجزاء الأوفى، ولا غرو أن ينال أهل الوفاء ذلك الثناء وذلك الجزاء العظيم، فإنهم قد تحلوا بذلك الخلق العظيم الذي هو من صفات الحق تبارك وتعالى، فإنه سبحانه ذو الوفاء الذي لا يدانيه وفاء، كما أخبر سبحانه عن نفسه وهو أصدق القائلين بقوله: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: 111].

كما أنه من صفات أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام فهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام قد ضرب المثل في الوفاء، إذ وفى وفاء لم يُعرف أحد من البشر أن ابتلي بمثله، وذلك حينما أمره الله تعالى بأن يذبح ابنه، فلذة كبده بيده فما كان منه إلا أن امتثل أمر ربه، وطاعه ابنه على أمر ربه، وتلّه للجبين ليحقق أمر الله، فلما علم الله صدقه ووفاءه فداه بذبح عظيم وناداه معبراً عن رضاه عنه وعن

وفائه بقوله: ﴿يَا زَيْدُ﴾ (١٠٤) قَدْ صَدَقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ [الصفات: 104-105] (١).

كما ابتلاه الله أيضاً بكلمات من التكاليف الشرعية، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أُنْزِلَ إِلَهُهُ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ فَأَنْتَهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (١٢٤) [البقرة: 124].

فاستحق بذلك أن ينوه الله تعالى بوفائه هذا فقال: ﴿وَأَيُّهَا﴾ (١٢٤) الَّذِي وَفَّى.

وفى بجميع ما أمره الله به من التكاليف الشرعية (٢).

وكذلك نبي الله يوسف عليه السلام فإن خلق الوفاء حمله على أن ينسى ما عمله إخوانه معه من مكر وخديعة بحيث كانوا يهدفون إلى أن يلقوه حتفه حينما ألقوه في غيابة الجُبِّ، ناهيك عما أورثوه أباهم نبي الله يعقوب عليه السلام من حزن عميق على فقد ابنه يوسف عليه السلام حتى ابيضت عيناه من الحزن، ومع ذلك فلما وفد إليه إخوانه بعد أن مكثه الله من خزائن الأرض، قال تعالى: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [يوسف: 59].

هذا هو الوفاء بحقوق الناس عامة، والإخوان والأرحام منهم خاصة، وهذا هو الخلق الكريم اللائق من نبي كريم، ولا ريب فهو

(1) أخلاق النبي ﷺ في الكتاب والسنة (2/ 560).

(2) أخلاق النبي ﷺ في الكتاب والسنة (2/ 561).

الكريم ابن الكريم ابن الكريم، عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم. (1)

## 6 — ما أعدده الله لأهل الوفاء من الأجر والجزاء:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۖ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۖ يُؤْتُونَ بِالنَّذْرِ وَيَنَاقُونَ ۚ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۖ﴾ [الذمر: 5 - 7].

فساهم الله تعالى أبراراً، ومعلوم أن الأبرار لهم صفات كثيرة تدل على عظمة إيمانهم وتعبدهم، ولكن لم يذكر الله تعالى في هذه الآية الدالة على مبلغ ثوابهم وأجرهم إلا صفة الوفاء والخوف، وذلك لأن هذا الوصف أبلغ في التوفر على أداء الواجبات، لأن من وفى بما أوجبه الله على نفسه لله، كان أوفى بما أوجبه الله عليه بالأولى (2)، وذلك يدل على قوة الإيمان، إذ لا يدفع إلى الوفاء بالنذر إلا قوة الإيمان، وتفاوت الناس عند الله تعالى إنما يكون بحسب قوة إيمانهم وضعفه، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ﴾ [الحجرات: 13].

جعلنا الله من أهل الوفاء والتقوى بمنه وكرمه (3).

فهذه من أهم مقاصد القرآن الكريم، وقد تناولنا بعضها، كتصحيح المعتقد، وتقوى الله وعبادته وتزكية النفس، والحرية،

(1) المصدر نفسه (561/2).

(2) أخلاق النبي ﷺ في الكتاب والسنة (561/2)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ص: 774.

(3) أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة (561/2).

والشورى، وكرامة الإنسان، وتحرير المرأة من ظلم الجاهلية،  
وتكوين الأسرة، وبناء الأمة الشهيذة على الناس، والسماحة،  
والرحمة، والوفاء بالعهود.



## المبحث الخامس: جمع القرآن وكتابه

أولاً: جمع القرآن الكريم كتابة من فم رسول الله ﷺ:

وردت لفظ «الجمع» بمعنى: «الحفظ مع دقة الترتيب» عدة مرات في كتاب الله وذلك من مثل قوله تعالى مخاطباً خاتم أنبيائه ورسله ﷺ: ﴿لَا تَحْزَنْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَمْلِكَ بِهِ ۖ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۖ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَالْتَفِعْ ۚ قُرْآنَهُ ۚ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۚ﴾ [القيامة: 16 - 19].

كما وردت لفظة «الجمع» بمعنى: «الكتابة والتدوين» والمعنى الأول آتاه الله تعالى - لخاتم أنبيائه ورسله ﷺ - ولعدد غير قليل من صحابته الكرام وممن تابعهم من الصالحين إلى اليوم وحتى يوم الدين، وهؤلاء تدارسوا القرآن الكريم ولا يزالون يتدارسونه ويستظهرونه لتمكنوا من القراءة به في الصلوات المكتوبة وفي النوافل وفي الاستشهاد وأما جمع القرآن الكريم بمعنى تدوينه كتابة فقد مرّ بمراحل ثلاثة:

أولها: جمع القرآن الكريم كتابة من فم رسول الله ﷺ (1).

إن جميع الأحاديث الواردة في هذا الشأن تتفق على أن ترتيب آيات القرآن، حسبما عليه المصحف الآن، إنما هو ترتيب توقيفي، لم يجتهد فيه رسول الله ولا أحد من الصحابة في عهده أو من بعده وإنما كان يتلقى ترتيبها بعضها إلى جانب بعض، وحيّاً من عند الله بواسطة جبريل.

---

(1) مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي، د. زغلول النجار.

روى أحمد بإسناده عن عثمان بن أبي العاص، قال: كنت جالساً عند رسول الله ﷺ إذ شخص ببصره ثم صوّبه، قال: «أتاني جبريل فأمرني أن ضع هذه الآية هذا الموضع ببصره ثم صوّبه قال: أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى﴾ [النحل: 90]<sup>(1)</sup>.

إن من مظاهر عناية الله بالقرآن الكريم وحفظه ما تمّ على يد الرسول ﷺ وأمته من حفظ القرآن في صدورهم وكتابته في الصحف وقد بلغ الرسول ﷺ وأمته في ذلك أرقى مناهج التوثيق ذلك أن القرآن الكريم نزل على رسول الله ﷺ منجماً في ثلاث وعشرين سنة<sup>(2)</sup>، حسب الحوادث ومقتضى الحال، وكانت السورة تدون ساعة نزولها، إذ كان المصطفى ﷺ إذا ما نزلت عليه آية أو آيات قال: «ضعوها في مكان كذا... سورة كذا»<sup>(3)</sup>.

ولهذا اتفق العلماء على أن جمع القرآن توقيفي، بمعنى أن ترتيبه بهذه الطريقة التي نراه عليها اليوم في المصاحف إنما هو بأمر الله ووحى من الله<sup>(4)</sup>.

وما يقال عن ترتيب آيات القرآن هو الذي يقوله إجماع المؤرخين والمحدثين والباحثين عن ترتيب السور ووضع البسملة في

(1) مسند أحمد، لا يأتيه الباطل، د. محمد سعيد رمضان، ص: 217.

(2) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص: 105.

(3) الإنقان في علوم القرآن، للسيوطي (1/ 60 - 61).

(4) البرهان في علوم القرآن (1/ 234 - 235).

رؤوسها، قال القاضي أبو بكر بن الطيب رواية عن مكي رحمته الله في تفسير سورة «براءة» إن ترتيب الآيات في السور، ووضع البسملة في الأوائل هو توقيف من الله ﷻ، ولما لم يؤمر بذلك في أول سورة براءة تركت بلا بسملة<sup>(1)</sup>.

وروى القرطبي عن ابن وهب قال: سمعت سليمان بن بلال يقول سمعت ربعة يسأل: لم قدمت البقرة وآل عمران وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة، وإنما نزلتا في المدينة؟ فقال ربعة: قد قدما، وألف القرآن على علم ممن ألفه<sup>(2)</sup>.

هذا عن ترتيب آي القرآن وسوره أما عن كتابته، فمن المعلوم أولاً أن النبي ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، أجمع على ذلك عامة المؤرخين وكل المشركين الذين كانوا على عهد رسول الله، لذا فقد كان يعهد بكتابة ما ينزل عليه من القرآن إلى أشخاص من الصحابة بأعيانهم كانوا يُسمون كتاب الوحي، وأشهرهم الخلفاء الأربعة وأبي ابن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة، والزبير بن العوام، وشرحبيل بن حسنة، وعبد الله بن رواحة، وقد كانوا يكتبون ما ينزل من القرآن تباعاً حسب الترتيب الذي يأتي به جبريل فيما تيسر لهم، من العظام المرققة والمخصصة لذلك، وألواح الحجارة الرقيقة والجلود، وقد كانوا يضعون ما يكتبونه في بيت رسول الله ﷺ، ثم يكتبون لأنفسهم إن شاؤوا صوراً عنها يحفظونها لديهم، ولقد كان من الصحابة من يتتبع ما ينزل من

(1) لا يأتيه الباطل، محمد سعيد رمضان، ص: 217.

(2) تفسير القرطبي (1/ 61) البخاري (5/ 165).

آيات القرآن وتتبع ترتيبها فيحفظها عن ظهر قلب، حتى كان فيهم من حفظ القرآن كله، فمن المشاهير أبي بن كعب وزيد بن ثابت وآخرون<sup>(1)</sup>.

وظل الصحابة يعكفون على حفظ القرآن غيباً، حتى ارتفعت نسبة الحفاظ منهم إلى عدد لا يحصى.

يتضح لك من هذا الذي ذكرناه أن القرآن وعاء الصدر الأول من الصحابة وبلغوه إلى من بعدهم بطريقتين اثنتين:

أحدهما: الكتابة التي كانت تتم للقرآن بأمر الرسول ﷺ لأشخاص بأعيانهم وكل إليهم هذا الأمر ولم ينتقل رسول الله ﷺ إلى جوار ربه إلا والقرآن مكتوب كله في بيته.

الثانية: حفظه في الصدور عن طريق التلقي الشفهي من كبار قراء الصحابة وحفاظهم الذين تلقوه بدورهم عن رسول الله ﷺ، الذي أقرهم على كيفية النطق والأداء<sup>(2)</sup>.

وكان كل ما يكتب من آيات وسور القرآن الكريم بعد الوحي بها مباشرة يحفظ في بيت رسول الله ﷺ مع استنساخ كتاب الوحي نسخاً لأنفسهم من جميع ما أُملي على كل منهم وبذلك تم جمع القرآن الكريم كله كتابة وحفظاً على عهد رسول الله ﷺ<sup>(3)</sup>.

(1) البرهان للزركشي (1/238)، الإتيان (1/58)، فتح الباري شرح البخاري (9/18)،

لا يأتيه الباطل، ص: 218.

(2) لا يأتيه الباطل، ص: 219.

(3) مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي، ص: 68.

وثبت أن جبريل عليه السلام كان يعارض الرسول ﷺ بالقرآن مرة واحدة في كل سنة ثم عارضه به في السنة التي توفي فيها ﷺ مرتين<sup>(1)</sup>، ومعنى هذا أن القرآن الكريم كان في صورته التامة في هذه السنة التي تم عرضه فيها مرتان، ولذلك شواهد كثيرة ذكرها العلماء من أظهرها ما أورده البغوي عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قال: كانت قراءة أبي بكر وعمر وعثمان، وزيد بن ثابت، والمهاجرين والأنصار واحدة، كانوا يقرأون القراءة العامة فيه، وهي القراءة التي قرأها رسول الله ﷺ على جبريل مرتين في العام الذي قبض فيه، وكان زيد قد شهد العرضة الأخيرة وكان يقرئ الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده الصديق في جمعه أولاً وولاه عثمان كنية المصحف<sup>(2)</sup>.

على أن القرآن رغم ذلك لم يجمع بين دفتين في مصحف على عهد رسول الله ﷺ، وذلك لضيق الوقت بين آخر آية نزلت من القرآن وبين وفاته ﷺ<sup>(3)</sup>.

ثانياً: جمع القرآن الكريم في مصحف واحد على عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

كان من ضمن شهداء المسلمين في حرب مسيلمة الكذاب في اليمامة كثير من حفظة القرآن، وقد نتج عن ذلك أن قام أبو بكر رضي الله عنه بمشورة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بجمع القرآن حيث جمع من

(1) البخاري رقم 4710.

(2) شرح السنة (50/3)، تميز الأمة الإسلامية، د. إسحاق السعدي (1/595).

(3) لا يأتيه الباطل، ص: 219.

الرقاع والعظام والسعف ومن صدور الرجال<sup>(1)</sup>، وأسند أبو بكر الصديق عليه السلام هذا العمل العظيم والمشروع الحضاري الضخم إلى الصحابي الجليل زيد بن ثابت الأنصاري عليه السلام، يروي زيد بن ثابت عليه السلام فيقول: بعث إلي أبو بكر عليه السلام: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر<sup>(2)</sup> يوم القيامة بقرء القرآن وإنني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر عمر، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر: وإنك رجل شاب عاقل لا نتهمك<sup>(4)</sup>، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه<sup>(5)</sup>، قال زيد: فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل عليّ مما كلفني به من جمع القرآن، فتتبع القرآن من العسب<sup>(6)</sup> والللخاف<sup>(7)</sup>، وصدور الرجال، والرقاع<sup>(8)</sup>، والأكتاف<sup>(9)</sup>. قال: حتى

(1) حروب الردة وبناء الدولة، أحمد سعيد، ص: 145.

(2) استحر: كثر واشتد.

(3) أبو بكر الصديق للصّلابي ص: 262.

(4) هذه الصفات معيار لاختيار زيد.

(5) أي من الأشياء التي عندي وعند غيرك.

(6) العسب: جريد النخل.

(7) اللخاف: جمع لخفة: وهي صفائح الحجارة.

(8) الرقاع: جمع رقعة وهي قطع الجلود.

(9) الأكتاف: جمع كتف وهو العظم الذي للبعير أو الشاة.

وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجد لها مع أحد غيره.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128]، حتى خاتمة براءة، وكانت الصحف عند أبي بكر في حياته حتى توفاه الله، ثم عند عمر في حياته حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهم<sup>(1)</sup>، وعلق البغوي على هذا الحديث فقال: فيه البيان الواضح أن الصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله ﷻ على رسوله ﷺ من غير أن يزدوا فيه أو ينقصوا منه شيئاً والذي حملهم على جمعه ما جاء في الحديث وهو أنه كان مفرقاً في العصب واللخاف وصدور الرجال، فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته، ففزعوا فيه إلى خليفة رسول الله ودعوه إلى جمعه، فرأى في ذلك رأيهم فأمر بجمعه في موضع واحد باتفاق من جميعهم، فكتبوه كما سمعوا من رسول الله من غير أن قدموا شيئاً أو أخرجوا أو وضعوا له ترتيباً لم يأخذه من رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يلقي أصحابه ويعلمهم ما ينزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل صلوات الله عليه إياه على ذلك، وإعلامه عند نزول كل آية إن هذه الآية تكتب عقب آية كذا في السور التي يذكر فيها كذا<sup>(2)</sup>.

وهكذا يتضح للقارئ الكريم أن من أوليات أبي بكر

(1) البخاري رقم 4986.

(2) شرح السنة (4/ 522) للبغوي.

الصدیق ﷺ : أنه أول من جمع القرآن الكريم يقول صعصعة بن صوحان رضى الله عنه : أول من جمع بين اللوحين، وورث الكلاله<sup>(1)</sup>، أبو بكر.

وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : « یرحم الله أبا بكر هو أول من جمع بين اللوحين »<sup>(2)</sup>.

وقد اختار أبو بكر رضى الله عنه زيد بن ثابت لهذه المهمة العظيمة، وذلك لأنه رأى فيه المقومات الأساسية للقيام بها وهي :

1 - كونه شاباً، حيث كان عمره 21 سنة، فيكون أنشط لما يطلب منه.

2 - كونه أكثر تأهيلاً، فيكون أوعى له، إذ من وهبه الله عقلاً راجحاً فقد يسر له سبل الخير.

3 - كونه ثقة، فليس هو موضعاً للتهمة، فيكون عمله مقبولاً، وتركز إليه النفس، ويطمئن إليه القلب.

4 - كونه كاتباً للوحي، فهو بذلك ذو خبرة سابقة في هذا الأمر وممارسة عملية له فليس غريباً عن هذا العمل، ولا دخيلاً عليه<sup>(3)</sup>.

هذه الصفات الجليلة جعلت الصدیق يُرشد زيدا لجمع القرآن،

(1) الكلاله: من لا ولد له ولا والد.

(2) إسناده صحيح أخرجه ابن أبي شيبة (196/7).

(3) التفوق والنجابة على نهج الصحابة، حمد العجمي، ص: 73.



فكان به جديراً، وبالقيام به خبيراً.

5 - ويضاف لذلك أنه أحد الصحابة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ مع الإتقان وأما الطريقة التي اتبعها زيد في جمع القرآن فكان لا يثبت شيئاً من القرآن إلا إذا كان مكتوباً بين يدي النبي ﷺ ومحفوظاً من الصحابة، فكان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة، خشية أن يكون في الحفظ خطأ أو وهم، وأيضاً لم يقبل من أحد شيئاً جاء به إلا إذا أتى معه شاهدان يشهدان أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله ﷺ وأنه من الوجوه التي نزل بها القرآن<sup>(1)</sup>.

وعلى هذا المنهج استمر زيد رضي الله عنه في جمع القرآن حذراً متثبتاً مبالغاً في الدقة والتحري<sup>(2)</sup>.

إن زيدا أتبع طريقة في الجمع نستطيع أن نقول عنها في غير تردد، أنها طريقة فذة في تاريخ الصناعة العقلية الإنسانية وأنها طريقة التحقيق العلمي المألوف في العصر الحديث وأن الصحابي الجليل قد اتبع هذه الطريقة بدقة دونها كل دقة وأن هذه الدقة في جمع القرآن متصلة بإيمان زيد بالله، فالقرآن كلام الله جل شأنه فكل تهاون في أمره أو إغفال للدقة في جمعه وزر ما كان أحرص زيدا - في حسن إسلامه وجميل صحبته لرسول الله ﷺ أن يتنزه عنه.

إن ما قام به زيد بن ثابت رضي الله عنه بتكليف من خليفة المسلمين أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومشورة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومعاونة

(1) التفوق والنجابة على نهج الصحابة، حمد العجمي، ص: 74.

(2) الصديق للصلاحي ص: 264.

عمر عليه السلام وأبي بن كعب ومشاركة جمهور الصحابة ممن كان يحفظ القرآن أو يكتبه<sup>(1)</sup>، وإقرار جمع من المهاجرين والأنصار مظهر من مظاهر العناية الربانية بحفظ القرآن الكريم وتوفيق من الله للأمة الإسلامية وشديد منه لمسيرتها ويتضمن ذلك - أيضاً - كما قال أبو زهرة: حقيقتين مهمتين تدلان على إجماع الأمة كلها على حماية القرآن الكريم من التحريف والتغيير والتبديل، وأنه مصون بعناية الله سبحانه وتعالى، ومحفوظ بحفظه وإلهام المؤمنين بالقيام عليه وحياطته<sup>(2)</sup>.

**الأولى:** أن عمل زيد عليه السلام لم يكن كتابة مبتدأة، ولكنه إعادة مكتوب<sup>(3)</sup>، فقد كتب القرآن كله في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعمل زيد الابتدائي هو البحث عن الرقاع والعظام التي كان قد كتب عليها والتأكد من سلامتها بأمرين، بشهادة اثنين على الرقعة التي فيها الآية والآيتان أو الآيات، وبحفظ زيد نفسه، وبالحافظين من الصحابة، وقد كانوا الجمع الغفير والعدد الكبير، فما كان لأحد أن يقول: إن زيدا كتب من غير أصل مادي قائم، بل إنه أخذ من أصل قائم ثابت مادي وبذلك نقرر أن ما كتبه زيد هو تماماً ما كتب في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه ليس كتابة زيد، بل ما كتب في عصره عليه الصلاة والسلام وأملاه وما حفظه الروح القدس.

**الثانية:** أن عمل زيد لم يكن عملاً أحادياً، بل كان عملاً

(1) الحضارة الإسلامية، توفيق الواعي، ص: 281.

(2) تميز الأمة الإسلامية (603/1).

(3) المصدر نفسه (603/1).

جماعياً من مشيخة صحابة رسول الله ﷺ، فقد طلب أبو بكر إلى كل ما عنده شيء مكتوب أن يجيء به إلى زيد وإلى كل من يحفظ القرآن أن يدلي إليه بما يحفظه، واجتمع لزيد من الرقاع والعظام وجريد النخل ورقيق الحجارة وكل ما كتب أصحاب رسول الله ﷺ، وعند ذلك بدأ زيد يرتبه ويوازنه ويستشهد عليه، ولا يثبت آية إلا إذا اطمأن إلى إثباتها، كما أوحيت إلى رسول الله ﷺ<sup>(1)</sup>.

واستمر الأمر كذلك، حتى إذا ما أتم زيد ما كتب، تذاكره الناس، وتعرفوه وأقروه، فكان المكتوب متواتراً بالكتاب ومتواتراً بالحفظ في الصدور، وما تم هذا الكتاب في الوجود غير القرآن<sup>(2)</sup> - وأيم الله - عناية من الرحمن خاصة بهذا القرآن العظيم<sup>(3)</sup>.

وشرف للأمة الإسلامية أنها تميزت به على سائر الأمم ووفقها الله لخدمة كتابه في منهج علمي سبقت إليه جميع الأمم<sup>(4)</sup>.

ثالثاً: جمع القرآن الكريم في عدد من المصاحف على عهد ذي النورين أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه :

1 - الباعث على جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان رضي الله عنه وكان يُغازي أهل الشام في فتح أرمينية، وأذربيجان مع

(1) دراسات في القرآن، أحمد خليل، ص: 90.

(2) تميز الأمة الإسلامية (604/1).

(3) دراسات تاريخية من القرآن الكريم محمد بيومي، ص: 31 - 32.

(4) المصدر نفسه، (604/1).

أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالصُّحف ننسخها في المصاحف ثم نردّها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضي الله عنه، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، وإنما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصُّحف في المصاحف رد عثمان رضي الله عنه الصُّحف إلى حفصة، فأرسل إلى كلِّ أفق بمصحف ممّا نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كلِّ صحيفة، أو مصحف أن يُحرق<sup>(1)</sup>.

ويؤخذ من الحديث الصحيح أمور منها:

أ - أن السبب الحامل لعثمان رضي الله عنه على جمع القرآن مع أنه كان مجموعاً، مرتباً في صحف أبي بكر الصديق، إنما هو اختلاف قراء المسلمين في القراءة، اختلافاً أوشك أن يؤدي بهم إلى أخطر فتنة في كتاب الله تعالى، وهو أصل الشريعة، ودعامة الدين، وأساس بناء الأمة الاجتماعي، والسياسي، والخلقي، حتى إن بعضهم كان يقول لبعض: إن قراءتي خير من قراءتك، فأفزع ذلك حذيفة ففزع إلى خليفة المسلمين، وإمامهم، وطلب إليه أن يدرك الأمة قبل أن تختلف، فيستشري بينهم الاختلاف، ويتفاقم أمره، ويعظم خطبه،

(1) البخاري، كتاب فضائل القرآن، رقم 4987.

فِيْمَسَ نَصُّ الْقُرْآنِ، وَتُحَرَّفُ عَنْ مَوَاضِعِهَا كَلِمَاتُهُ وَأَيَاتُهُ، كَالَّذِي وَقَعَ بَيْنَ الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى مِنْ اخْتِلَافٍ كُلِّ أُمَّةٍ عَلَى نَفْسِهَا فِي كِتَابِهَا.

ب - أن هذا الحديث الصحيح قاطع بأن القرآن الكريم كان مجموعاً في صحف ومضموماً في خيط، وقد اتفقت كلمة الأمة اتفاقاً تاماً على أن ما في تلك الصحف هو القرآن كما تلقته عن النبي ﷺ في آخر عرضة على أمين الوحي جبريل عليه السلام، وأن تلك الصحف ظلت في رعاية الخليفة الأول أبي بكر الصديق، ثم انتقلت بعده إلى رعاية الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، ثم عرف عمر حضور أجله ولم يولّى عهده أحداً معيناً في خلافة المسلمين، وإنما جعل الأمر شورى في الرّهط المعطفين بالرضا من رسول الله ﷺ، أوصى بحفظ الصحف عند ابنته حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها، وأن عثمان اعتمد في جمعه على تلك الصحف، وعنها نقل مصحفه «الرسمي» وأنه أمر أربعة من أشهر قراء الصحابة إتقاناً لحفظ القرآن، ووعياً لحروفه، وأداءً لقراءاته، وفهماً لإعرابه ولغته: ثلاثة قرشيين وواحد أنصاري، وهو زيد بن ثابت صاحب الجمع الأول في عهد الصديق بإشارة الفاروق.

- وفي بعض الروايات: أن الذين أمرهم عثمان أن يكتبوا من الصحف اثنا عشر رجلاً، فيهم أبي بن كعب، وآخرون من قریش والأنصار<sup>(1)</sup>.

ج - ونأخذ من هذا: إن الفتوحات في عهد عثمان كانت بإذن

(1) عثمان بن عفان، لصديق عرجون، ص: 171.

وأمر من الخليفة، وأن القرار العسكري يصدر من المدينة، وأن الولايات الإسلامية كلها كانت خاضعة لأمر الخليفة عثمان في عهده، بل يدل على أن هناك إجماعاً من الصحابة والتابعين في جميع الأقاليم على خلافة عثمان، وقدوم حذيفة بن اليمان إلى المدينة، لرفع اختلاف الناس في قراءة القرآن، يدل على: أن القضايا الشرعية الكبرى كان يستشار فيها الخليفة في المدينة، وأن المدينة ما زالت دار ومجمع فقهاء الصحابة<sup>(1)</sup>.

## 2 - استشارة جمهور الصحابة في جمع عثمان:

جمع عثمان رضي الله عنه المهاجرين والأنصار، وشاورهم في الأمر، وفيهم أعيان الأمة، وأعلام الأئمة، وعلماء الصحابة، وفي طليعتهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعرض عثمان رضي الله عنه هذه المعضلة على صفوة الأمة وقادتها الهادين المهديين، ودارسهم أمرها، ودارسوه، وناقشهم فيها وناقشوه، حتى عرف رأيهم وعرفوا رأيه، فأجابوه إلى رأيه في صراحة لا تجعل للريب إلى قلوب المؤمنين سبيلاً، وظهر للناس في أرجاء الأرض من عقد عليه إجماعهم فلم يعرف قط يومئذ لهم مخالف، ولا عرف عند أحد نكير، وليس شأن القرآن الذي يخفى على آحاد الأمة فضلاً عن علمائها وأئمتها البارزين<sup>(2)</sup>.

إن عثمان رضي الله عنه لم يتدع في جمعه المصحف، بل سبقه إلى ذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه، كما أنه لم يضع ذلك من قبل نفسه، إنما فعله عن مشورة للصحابة رضي الله عنهم وأعجبهم هذا الفعل، وقالوا:

(1) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي (2/ 244).

(2) عثمان بن عفان، لصادق عرجون، ص: 175.

نعم ما رأيته، وقالوا: أيضاً قد أحسن أي: في فعله في المصاحف<sup>(1)</sup>.

وقد أدرك مصعب بن سعد صحابة النبي ﷺ حين مشق<sup>(2)</sup>، عثمان رضي الله عنه المصاحف، فرآهم قد أعجبوا بهذا الفعل<sup>(3)</sup> منه، وكان علي رضي الله عنه ينهى من يعيب على عثمان رضي الله عنه بذلك، ويقول: يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيراً - أو قولوا خيراً - فوالله ما فعل الذي فعل - أي في المصاحف - إلا عن ملأ منا جميعاً، أي: الصحابة... والله لو وليت، لفعلت مثل الذي فعل<sup>(4)</sup>.

وبعد اتفاق هذا الجمع الفاضل من خيرة الخلق على هذا الأمر المبارك، يتبين لكل متجرد عن الهوى: أن الواجب على المسلم الرضا بهذا الصنيع الذي صنعه عثمان رضي الله عنه وحفظ به القرآن الكريم<sup>(5)</sup>.

قال القرطبي في التفسير: وكان هذا من عثمان رضي الله عنه بعد أن جمع المهاجرين والأنصار، وجلة أهل الإسلام، وشاورهم في ذلك، فاتفقوا على جمعه بما صح، وثبت من القراءة المشهورة عن النبي ﷺ وأطراح ما سواه، واستصوبوا رأيه، وكان رأياً سديداً موقفاً<sup>(6)</sup>.

(1) فتنة مقتل عثمان بن عفان (78/1)، محمد الغبان.

(2) مشق في الكتابة: مد في حروفها وجودها.

(3) التاريخ الصغير للبخاري (94/1)، إسناده حسن لغيره.

(4) فتح الباري (18/9)، إسناده صحيح.

(5) فتنة مقتل عثمان بن عفان (78/1).

(6) الجامع لأحكام القرآن (78/1).

3 - الفرق بين جمع الصديق، وجمع عثمان رضي الله عنه:

الفرق بين أبو بكر وجمع عثمان: أن جمع أبي بكر كان لخشيته أن يذهب شيء من القرآن بذهاب حملته، لأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد، فجمعه في صحائف مرتباً لآيات سورهم على ما وقفهم عليه النبي ﷺ، وجمع عثمان كان لما كثُر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرأوه بلغاتهم على اتساع اللغات، فأدى ذلك إلى تخطئة بعضهم بعضاً، فخشي من تفاقم الأمر في ذلك، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتباً لسوره، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش، محتجاً بأنه نزل بلغتهم، وإن كان قد وسع في قراءته بلغة غيرهم دفعاً للحرص والمشقة في ابتداء الأمر، فرأى: أن الحاجة قد انتهت، فاقتصر على لغة واحدة<sup>(1)</sup>.

## هل المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة؟

ذهب الشيخ المحقق صادق عرجون رحمته الله إلى أن: صحف الصديق التي كانت أصلاً للمصحف الإمام بإجماع المسلمين لم تكن جامعة للأحرف السبعة التي وردت في صحاح الأحاديث بإنزال القرآن عليها، بل كانت حرف منها، هو الذي وقعت به العرضة الأخيرة، واستقر عليها الأمر في آخر حياة رسول الله ﷺ، وإنما كانت الأحرف السبعة أولاً من باب التيسير على الأمة، ثم ارتفع حكمها لما استفاض القرآن، وتمازج الناس، وتوحدت لغاتهم، قال الإمام الطحاوي: إنما كانت السعة للناس في الحروف، لعجزهم

(1) عثمان بن عفان للصلاحي، ص: 253.



عن أخذ القرآن على غير لغاتهم، لأنهم كانوا أميين، لا يكتب إلا القليل منهم، فلما كان يشق على كل ذي لغة أن يتحول إلى غيرها من اللغات، ولو رام ذلك لم يتهياً له إلا بمشقة عظيمة - وسع لهم - فلا اختلاف الألفاظ، إذا كان المعنى متفقاً، فكانوا كذلك حتى كثر منهم من يكتب، وعادت لغاتهم إلى لسان رسول الله ﷺ، فقدروا بذلك على تحفظ ألفاظه، فلم يسعهم حينئذ أن يقرؤوا بخلافها. وقال ابن عبد البر فبات بهذا أن تلك السبعة الأحرف إنما كانت في وقف خاص لضرورة دعت إلى ذلك، ثم ارتفعت تلك الضرورة، فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف، وعاد ما يقرأ به القرآن على حرف واحد<sup>(1)</sup>.

وقال الطبري: إن القراءة على الأحرف السبعة لم تكن واجبة على الأمة، وإنما كان جائزاً لهم، ومرخصاً لهم فيه، فلما رأى الصحابة: أن الأمة تفترق، وتختلف - إذا لم يجتمعوا على حرف واحد - أجمعوا على ذلك إجماعاً شائعاً، وهم معصومون من الضلالة<sup>(2)</sup>.

وهذا الحرف الذي كتبت به صحف الإجماع القاطع، ونقل عنها المصحف الإمام - جامع لقراءات القراء السبعة وغيرها، مما يقرأ به الناس، ونقل متواتراً عن رسول الله ﷺ، لأن الأحرف الواردة في الحديث غير هذه القراءات<sup>(3)</sup>.

(1) عثمان بن عفان، لصادق عرجون، ص: 180.

(2) المصدر نفسه، ص: 180.

(3) المصدر نفسه، ص: 180.

4 - عدد المصاحف التي أرسلها عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار:

لَمَّا فرغ عثمان رضي الله عنه من جمع المصاحف، أرسل إلى كل أفق بمصحف، وأمرهم أن يحرقوا كل مصحف يخالف المصحف الذي أرسله إلى الآفاق وقد اختلفوا في عدد المصاحف التي فرّقها في الأمصار، ف قيل: إنها أربعة، وقيل: إنها خمسة، وقيل: إنها ستة، وقيل: إنها سبعة، وقيل: ثمانية، أما كونها أربعة، ف قيل: إنه أبقى مصحفاً بالمدينة، وأرسل مصحفاً إلى الشام، ومصحفاً إلى الكوفة، ومصحفاً إلى البصرة، وأما كونها خمسة، فالأربعة المتقدم ذكرها ومصحفاً لأهل مكة، وأما كونها ستة فالخمس المتقدمة، والسادس اختلف فيه، ف قيل: جعله خاصاً لنفسه، وقيل أرسله إلى البحرين، وأما كونها سبعة، فالسبعة المتقدم ذكرها، والسابع أرسله إلى اليمن، وأما كونها ثمانية، فالسبعة المتقدم ذكرها والثامن كان لعثمان يقرأ فيه وهو الذي قتل وهو بين يديه <sup>(1)</sup>.

وبعث رضي الله عنه مع كل مصحف من يرشد الناس إلى قراءته بما يحتمله رسمه من القراءات مما صح وتواتر، فكان عبد الله بن السائب مع المصحف المكي، والمغيرة بن شهاب مع المصحف الشامي، وأبو عبد الرحمن السلمي مع المصحف الكوفي، وعامر ابن قيس مع المصحف البصري، وأمر زيد بن ثابت أن يقرئ الناس بالمديني <sup>(2)</sup>.

من هذا الاستعراض يتضح أن حفظ القرآن الكريم قد تم

(1) أضواء البيان في تاريخ القرآن، صابر حسن، ص: 77.

(2) المصدر نفسه، ص: 78، عثمان بن عفان للصلاحي، ص: 256.

بطريقة لم يحظ بها كتاب آخر في تاريخ البشرية كلها، وذلك لأن الله تعالى هو الذي تعهد بحفظه قائلاً: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9].

فوفق الله - سبحانه - نفراً من عباده الصالحين ليقوموا بهذا الدور العظيم في ظل من الرعاية الإلهية التي حفظت لنا القرآن حفظاً كاملاً، حرفاً حرفاً، وكلمة كلمة، وآية آية، وسورة سورة، في نفس لغة الوحي «اللغة العربية» على مدى يزيد على أربعة عشر قرناً، وتعهد ربنا - تبارك وتعالى - بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً حتى يبقى القرآن العظيم شاهداً على الخلق أجمعين بأنه كلام رب العالمين<sup>(1)</sup>.

(1) مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي، ص: 70 - 71.

## المبحث السادس: الكتب السماوية

### أولاً: وجوب الإيمان بالكتب السماوية:

يجيء ذكر الإيمان بالكتب السماوية في القرآن في صيغة الأمر تارة وصفة للمؤمنين تارة أخرى، كما يجيء عدم الإيمان بالكتب المنزلة أو الإيمان ببعضها دون البعض الآخر علامة على الكفر تارة ثالثة.

1 - فمن أمثلة الأمر قوله تعالى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 136].

2 - كما جاء في صيغة مشابهة له في سورة آل عمران قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 84].

3 - وقد يأتي الأمر في صيغة مجملة في مثل قوله في سورة النساء، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ﴾ [النساء: 136].

4 - أما وصف المؤمنين بأنهم هم الذين يؤمنون بالكتب المنزلة كلها فيجيء في مثل هذه الصيغة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا لِيَسْأَلَهُمُ اللَّهُ شَأْنَهُمْ فِيهَا قَانِعُونَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: 238].

وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٩١﴾ [البقرة: 1 - 4].

5 - أما وصف الذين لا يؤمنون بالكتب كلها أو الذين يؤمنون ببعضها ويكفرون ببعض بأنهم كفار فيجيء في مثل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَكَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: 136].

6 - وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُكُمْ أَشْرَكُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعَثْنَا أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَوْحَدُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [البقرة: 90-91].

ومفهوم هذه الآيات وأمثالها سواء كانت أمراً مباشراً أو وصفاً للمؤمنين أو وصفاً للكافرين، هو أن الإيمان بالكتب السماوية كلها أمر واجب لا يتم إيمان المرء إلا به.

وذلك أمر بدهي بالنسبة للمؤمن، فما دام يؤمن بالله وصدق ما نزل من عنده من الوحي وما دام الله يخبره في كتابه الكريم أنه قد أنزل كتباً سابقة على الأنبياء والرسل، فالواجب أن يؤمن بهذه الكتب المنزلة ويعتقد يقيناً أنها منزلة من عند الله ولو شك في هذه الحقيقة أو كذب بها فلن يكون مؤمناً على الإطلاق وكيف يكون مؤمناً بالله حقاً وهو يكذب خبراً آتياً إليه من الله، كذلك لو قال إنه يؤمن ببعض الكتب أنها منزلة من عند الله حقاً ويشك ويكذب أن غيرها من الكتب منزل من عند الله، فهل يكون مؤمناً بالله ولو زعم ذلك؟

إن من بين دعائم الإيمان التصديق، فكيف يوجد الإيمان إذا كَذَّبَ الإنسان حرفاً واحداً مما أخبره الله به؟ وما قيمة دعواه أنه مؤمن بالله أو مؤمن ببعض الكتب التي أنزلها الله؟ إنها دعوة مردودة على صاحبها لأن الدليل العملي يكذبها، ثم إن الكتب السماوية كلها تحتوي على حقيقة واحدة، وهي الأمر بعبادة الله وحده، لقد اختلفت الكتب المنزلة في اللغات التي نزلت بها، لأن الله يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ. لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: 4].

وهذه الكتب نزلت على أقوام مختلفين فاختلفت من ثم لغاتهم، كذلك اختلفت هذه الكتب فيما تحتويه من شرائع مختلفة للأقوام المختلفة، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعْتُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِنَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ [المائدة: 48].

ولكن القضية الأصلية في هذه الكتب كلها واحدة لم تتغير، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: 36].

وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: 13].

كذلك نزلت الكتب كلها لتنذر الناس بيوم الحساب، قال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ

مِنْ عِبَادِهِ يُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ نُجْزِي كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ [غافر: 15 - 17].

وما دام الأمر كذلك فالإيمان بالكتب كلها هو كالإيمان بالكتاب الواحد سواء والقضية عند المؤمن واضحة ولا تحتاج إلى جدال، إنما الجدال قد جاء في الحقيقة من أهل الكتاب لأنهم رفضوا أن يؤمنوا بأن القرآن منزل من عند الله وحساب هؤلاء على الله<sup>(1)</sup>، كما أن أسلافهم قد حرّفوا الكتب السماوية «التوراة والإنجيل».

ثانياً: الكتب التي ورد ذكرها في القرآن:

من تلك الكتب التي أنزلت على الرسل السابقين ما سماه الله تعالى لنا في القرآن الكريم، ومنها ما لم يسمه لنا، فمن الكتب التي ورد ذكرها في القرآن الكريم:

1 - الصحف:

وكل الذي جاء في القرآن عنها قوله تعالى:

أ - قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ [طه: 133].

ب - وقال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُبَيِّنْ لَنَا فِي الصُّحُفِ مِثْلَ هَذَا﴾ [نمل: 13].

(1) ركائز الإيمان، محمد قطب، ص: 194.

الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾ أَلَّا نَزِدَّ وَزْرَهُ وَزَرَّ أَغْرَى ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ وَأَنْ سَعَيْهُمْ سَوْفَ يَرَى ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوَّلَى ﴿٤١﴾ وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴿٤٢﴾ [النجم: 36 - 42].

ج - قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأَوَّلَى ﴿١٨﴾ صُحُفٍ إِنْزَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾ [الأعلى: 14 - 19].

## 2 - التوراة:

ذكر القرآن الكريم التوراة (18) مرة، وهو الكتاب الذي أنزله الله ﷺ على موسى عليه السلام، وخلاصة حديث القرآن عن التوراة قد تستطيع إجماله في الآتي:

أ - وصف القرآن التوراة بأنها هدى ونور وفرقان، وضياء وذكر، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: 44].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ الْمُنِيرِينَ﴾ [الأنبياء: 48].

ب - إن التوراة كتاب شامل لكل شيء، قال تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ [الأنعام: 154].

وتحدث القرآن الكريم عن ألواح موسى عليه السلام، وقد وردت في ثلاثة مواضع، فقال: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ بِأَخْذِهَا بِأَحْسَنِهَا



سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَنَاقِينَ ﴿[الأعراف: 145].

- وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَيْفًا قَالَ يَشْعُرُونَ خَلَقْتُنِي مِنْ بَدِيءٍ أَعْمَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ [الأعراف: 150].

- وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضِبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: 154].

ج - إن الرسائل التي جاءت بعدها مصدقة لها، فلقد قال الكتاب عن عيسى عليه السلام: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ مَائِدِهِمْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ...﴾ [المائدة: 46].

وقال عن محمد ﷺ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَكَلِمًا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكَرَّيْتُمْ فَفَرِّقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِّقًا تَفْثُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ بِسَنَنٍ حَرْشٍ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة: 87 - 89].

د - إن القرآن تحدث عن بعض الذي جاء في التوراة، ولناخذ هذين المثالين:

المثال الأول: قال تعالى: ﴿وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأَذُنَ بِالْأَذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ فِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ

بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿[المائدة: 45]﴾.

المثال الثاني: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوزًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: 157] <sup>(1)</sup>.

هـ - ذكر القرآن الذين كلفوا بحمل أمانة «التوراة» منهم من حملها بأمانة، ومنهم من لم يحملها، فقال عن الصالحين منهم: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: 159].

وقال عن المفسدين منهم: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خَبِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِبَايَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: 5].

لكن هؤلاء أصبحوا هم الكثرة الغالبة، فأخذ القرآن لا يتحدث عن حملة التوراة «بني إسرائيل» إلا ويعمهم بالخيانة ونقض الميثاق، قال تعالى: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة: 13].

- وقال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتُفْسِدُنَا فِي الْأَرْضِ مَرَدِّينَ وَلَعَلَّ نَلْفِكُمْ كَثِيرًا﴾ [الإسراء: 4].

و - أكد القرآن أن التوراة الموجودة الآن بين أيدينا هي ليست التوراة التي أنزلها على موسى عليه السلام وإنما هي محرفة من قبل بني إسرائيل الذين خانوا العهد ونقضوا الميثاق <sup>(2)</sup>.

(1) المحكم في العقيدة، د. محمد عياش، ص: 183.

(2) المحكم في العقيدة، ص: 184.

- قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانًا وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ۝﴾ [البقرة: 78 - 79].

- وقال تعالى: ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 75].

- وقال تعالى: ﴿فِيمَا تَقْضِيهِمْ يَتْلِفُهُمْ لَمَنَّهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَنَاسَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۝﴾ [المائدة: 13]<sup>(1)</sup>.

### 3 - الإنجيل:

وذكر القرآن الكريم الإنجيل «12» مرة ويكاد يكون حديث القرآن عن الإنجيل قريباً عن حديثه عن التوراة، إلا في بعض النقاط، والإنجيل هو الكتاب الذي أنزله الله ﷻ على عبده ورسوله عيسى عليه السلام.

أ - وصف القرآن الإنجيل بأنه هدى ونور وموعظة:

قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ مَائِدَتِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۚ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۚ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 46].

(1) المحكم في العقيدة، ص: 184.

ب - ومما ورد في القرآن الكريم:

أن الإنجيل جاء مكملًا أو معدلاً لما جاء في التوراة من أحكام ولم يصف القرآن الإنجيل بما وصف به التوراة من أنه كتاب شامل يفصل كل شيء، بل على العكس، جاء وكأنه يصفه بمهمة محدودة هي نسخ بعض ما ورد في التوراة من أحكام، لحكمة يعلمها الله، يقول القرآن على لسان عيسى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأُحَدِّثَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: 50].

ولهذا ربط القرآن بينهما في مهمة عيسى - ﷺ - فقال: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (١٨) ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [آل عمران: 48 - 49].

ج - هناك فرق واضح في اهتمام القرآن، فالظاهر اهتمامه برسالة موسى أكثر من الإنجيل ويظهر هذا في عدد المرات التي ذكرت فيها التوراة «18» مرة بينما ذكر الإنجيل «12» مرة وذكر موسى «136» مرة بينما لم يذكر عيسى إلا «25» مرة، هناك إشارة ربما تكون أظهر في الدلالة على اهتمام القرآن بالتوراة أكثر من اهتمامه بالإنجيل، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ آلِ بْنِ يَسَّاعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصُتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ﴾ (٢٦) ﴿قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٢٧) [الأحقاف: 29 - 30] (١).

(1) المحكم في العقيدة، ص: 185.

د - جاءت في الإنجيل كما في التوراة البشارة بالرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 157].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصف: 6]<sup>(1)</sup>.

هـ - إن القرآن جاء مصدقاً أيضاً لرسالة عيسى عليه السلام كما هو مصدق لجميع الرسالات السابقة قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ آلِ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا أَتَيْنَكُم مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: 81].

- وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 97].

و - وتحدث القرآن عن حملة الإنجيل كما تحدث عن حملة التوراة فقسمهم إلى قسمين: فئة وقفت مع الإنجيل الحق وأخرى كاذبة كافرة خائنة، فقال عن الأولى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ

(1) العقيدة الإسلامية، د. أحمد محمد جلي، ص: 197.

الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَكَ الْخَوَارِثُ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ ﴿٥١﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَرْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٢﴾ [آل عمران: 52 - 53].

وأما الثانية فهم: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرِيهِ أَخَذْنَا مِنْهُمُ مَقَسَاتٍ حَقًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: 14].

ز - ويخلص القرآن إلى أن الإنجيل الذي بين أيدينا الآن ليس هو كلام الله، بل هو من تحريف المحرفين، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ أَلْسِنَتَهُمُ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُوْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: 78 - 79].

والحقيقة فالقرآن لا يفصل في مقدار التحريف الذي ورد على التوراة والإنجيل، وكأن هدفه فقط أن يقول لنا إن هذين الكتابين ليسا مصدر ثقة، لأن الأهواء دخلتهما، أما التفصيل فلا نحتاجه نحن، وأيضاً فإن مقدار التحريف مختلف زماناً ومكاناً ومذاهب<sup>(1)</sup>، فلم يهتم القرآن إلا بالذي فيه الفائدة للناس.

(1) المحكم في العقيدة، ص: 187.

## 4 - الزبور:

هو الكتاب الذي أنزله الله ﷻ على داود عليه السلام، والزبور في اللغة هو الكتاب المزبور أي المكتوب، وجمعه زبر، وكل كتاب يسمى زبوراً، قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر: 52] أي مسجل في كتب الملائكة وكتبهم ثم غلب إطلاق لفظ الزبور على ما أنزل على داود عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا﴾ [النساء: 163].

وأخبر ﷻ، أن مما كتبه في الزبور، وراثه الصالحين الأرض، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرُدُّهَا عِبَادِيَ الْصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: 105].

وقال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا﴾ [النساء: 163].

وقال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا﴾ [الإسراء: 55].

هذه هي الكتب السابقة التي سماها الله لنا في كتابه إلا أنه توجد كتب أخرى أنزلت ولم تسم لنا، بل ذكرت مجملة، كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: 25].

وعلينا أن نؤمن بهذه الكتب التي لم تسم إجمالاً كما أنه لا يجوز لنا أن ننسب كتاباً إلى الله تعالى سوى ما نسبته إلى نفسه وأخبرنا القرآن الكريم أنه من الكتب التي أنزلها تعالى على رسول من رسله<sup>(1)</sup>.

(1) العقيدة الإسلامية، أحمد جلي، ص: 198.

## ثالثاً: تحريف الكتب السابقة:

أخبرنا الله في كتابه المنزل أن أهل الكتاب حرفوا كتبهم فلم تعد في صورتها التي أنزلها، فقد جاء عن اليهود قوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: 46].

- وقال تعالى: ﴿فِيمَا تَقْضِيهِمْ لَمْ يَقْضِهِمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: 13].

- وقال تعالى: ﴿يَتَّبِعُهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكَفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَتَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَتَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: 41].

وجاء عن النصارى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونَنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 78].

وإذ تدبرنا هذا الأمر وجدنا أن هناك ثلاثة أنواع من التحريف على الأقل قد وقعت في كتب أهل الكتاب وكلها وردت الإشارة إليه في القرآن<sup>(1)</sup>.

## 1 - تحريف المعنى مع بقاء اللفظ على ما هو عليه:

إن الله قد حرم الربا في جميع كتبه المنزلة التوراة والإنجيل

(1) ركائز الإيمان، ص: 195.



والقرآن، والتوراة التي بين أيدي اليهود اليوم رغم كل ما حدث فيها من تحريفات شنيعة - ماتزال تحمل نصاً بتحريم الربا، ونصاً بوجوب الأمانة في التعامل مع الناس ومع ذلك فاليهود - كما هو معلوم - يتعاملون بالربا على النطاق الدولي، ويسلبون عن طريقه أموال الناس بغير حق، وعن ذلك يقول الله تعالى: ﴿فَيُظْلَمُونَ أَلَذِينَ هَآؤُلَا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۖ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ هَرَبُوا عَنْهُ ۚ وَأَكْبَهُمْ آمُوكَ النَّاسِ بِالْبَطِلِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝﴾ [النساء: 160 - 161].

فكيف تحايلوا على النص الموجود في كتابهم، أو بعبارة أخرى حرفوه ليبيحوا لأنفسهم التعامل بالربا مع الناس وسلب أموالهم؟

لقد قالوا: إن الربا غير جائز في التعامل مع اليهود، وكذلك الأمانة واجبة في تعامل اليهود بعضهم مع بعض، أما إن كان الذي نتعامل معه من غير اليهود فلا بأس عليك أن نتعامل معه بالربا ولا بأس عليك أن تأكل ماله وذلك ما وردت عنه الإشارة في سورة آل عمران، قال تعالى: ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنَ إِن تَأْمَنَهُ بِقِطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنَ إِن تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُتِينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 75].

أي أنهم قالوا: لا حرج علينا في سلب أموال «الأميين» الذين ليسوا يهوداً ويزعمون أن الله أباح لهم ذلك وهم يعلمون أن هذا كذب على الله فإنه حرّم عليهم الربا إطلاقاً وحرّم عليهم سلب أموال

الناس جميعاً، أميين وغير أميين<sup>(1)</sup>.

## 2 - التحريف بالتغيير والإضافة:

فأما اليهود فقد أضافوا إلى التوراة مجموعة من القصص والأساطير ما أنزل الله بها من سلطان، بعضها يصل إلى حد الفحش في حق أنبيائهم، وما من أنبيائهم إلا ألصقوا به سلوكاً لا يليق بالجيش العادي فضلاً عن النبي المعصوم، بل إنهم تجرؤوا على مقام الألوهية وقالوا في حق الله ﷻ كلاماً لا يخرج من فم مؤمن قط ولا يخطر له على بال، وقد ظلوا يرددون هذه الأقوال وغيرها حتى زمن الرسول ﷺ، وسجل عليهم القرآن أقوالهم ومعتقداتهم الفاسدة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُفُّوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۖ﴾ (٧١) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٧٢﴾ [آل عمران: 181 - 182].

وأما الإنجيل فيحوي من التغيير والإضافة ما لا يقل سخفاً وبشاعة ولكن في اتجاه آخر، ذلك هو تأليه عيسى عليه السلام والزعم بأنه ابن الله، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ آلَسَنَتَهُم بِأَلْكُتَبِ لِيَتَّخِصِبُوهُ مِنْ أَلْكُتَبِ وَمَا هُوَ مِنْ أَلْكُتَبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ أَلْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۖ﴾ (٧٨) مَا كَانَ لِإِسْرَ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ أَلْكُتَبَ وَالأَحْكَمَ وَالنَّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعْلِمُونَ أَلْكُتَبَ

(1) ركائز الإيمان ص: 197.

وَيَمَّا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٨﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا لِلْكُفَّةِ وَالنَّيِّبِ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٧٩﴾ [آل عمران: 78 - 80].

وأسطورة ألوهية عيسى وبنوته لله وكون الله ثلاثة: الأب والابن وروح القدس، كلها إضافة أضيفت إلى الإنجيل المنزل من عند الله، كتبوها بأيديهم وزعموا أنها من عند الله وقد رد القرآن عليهم رداً مفصلاً في أكثر من سورة، وبين حقيقة التوحيد، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٨٠﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٨١﴾ [المائدة: 116 - 117].

ولكن المهم أن أناجيلهم الأربعة المعتمدة «إنجيل مرقس وإنجيل لوقا وإنجيل متى وإنجيل يوحنا»<sup>(1)</sup>، متضاربة بعضها مع بعض في هذا الشأن، مما ينفي أن تكون كلها من مصدر واحد فضلاً عن أن يكون مصدرها هو الله، وفضلاً عن ذلك كله فإن هناك إنجيلاً خامساً هو «إنجيل برنابا» منعت الكنيسة تداوله، وأحرقت ما وقع في يدها من نسخة، وهددت من يوجد عنده بإصدار قرار حرمان ضده: أي الحرمان - في زعمهم - من رضوان الله ومغفرته -

(1) ركائز الإيمان، ص: 198.

لأنه يقرر أن عيسى رسول بشر، وليس رباً ولا إلهاً، وأنه بشر بيعته محمد ﷺ من بعده<sup>(1)</sup>.

### 3 - التحريف بالكتمان:

فهو على نوعين: كتمان أحكام الشريعة، وكتمان الإشارة إلى بعثة محمد ﷺ والقرآن يسجل عليهم أنهم أمروا بعدم الكتمان فعصوا الله، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُخْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: 187].

- قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 146].

ويسجل عليهم أن الله أخذ عليهم ميثاقاً بأن يؤمنوا بكل رسول يأتي من عند الله مصداقاً لما معهم، كما يسجل عليهم أن خبر بعثة محمد ﷺ موجود عندهم في التوراة والإنجيل، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٦﴾ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [آل عمران: 81 - 82].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّؤْتَيْنٌ﴾ [الصف: 6].

(1) ركائز الإيمان، ص: 198

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوزًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَإِذْ هُمْ قَائِلِينَ ءَامَنَّا بِهِ وَعَزَّوْهُ وَنُصْرُوهُ وَأَتَّبِعُوا الْتَوْرَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 157].

وعلى الرغم من هذه الوصايا كلها لأهل الكتاب فقد عصوا أمر ربهم وكتمو الحق الذي أمروا بإعلانه على الناس:

وأما إنكارهم لبعثة الرسول ﷺ، فقد اجتهدوا في محو كل ذكر صريح له عليه الصلاة والسلام في كتبهم وأخفوه عن الناس، ومع كل اجتهداهم هذا فقد بقيت إشارات في التوراة والإنجيل لا يمكن تفسيرها إلا بأنها إشارة لمجيء الرسول ﷺ<sup>(1)</sup>.

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 146].  
وقال تعالى: ﴿حَسْبًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: 109].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِسْمَا أَسْرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَن يَكُفِّرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنْزَلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ فَبَآءُ بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾ [البقرة: 89-90].

(1) ركائز الإيمان، ص: 200.

### رابعاً: أهمية الإيمان بالكتب السماوية:

1 - الإيمان بالكتب السابقة ركن من أركان الإيمان لا يتم الإيمان إلا به .

2 - الإيمان بالكتب السابقة يؤكد وحدة الرسالات الإلهية وأن الإسلام جامع لكل الديانات السماوية والمسلمون أولى الناس جميعاً بقيادة البشرية على نهج الإسلام، فالمؤمن يعتقد أن أي طائفة من أهل الكتاب يملكون أساساً وأصلاً لدينهم وهذا مما يجعل أهل الكتاب قريبين من الإسلام والمسلمين لو أنصفوا، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَهُهُ اللَّهُ يَجْتَبِئُ إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: 13].

3 - الإيمان بالكتب الإلهية جزء من الإيمان بالقرآن وجزء من الإيمان بأن الله سبحانه هو الهادي، وأن هداية الله لم تنقطع عن البشر، فما من أمة إلا وقد أنزل الله بها هدى، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: 24].

4 - المسلم يؤمن أن القرآن قد اشتمل على كل ما سبقه من كتب وهو سليم من أي تحريف، فالقرآن يصدق بالكتب السابقة، وهو المرجع الوحيد لبيان ما فيها من حق، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: 48].

5 - الإيمان بالكتب السابقة ينمي لدى المسلم الشعور بوحدة

البشرية ووحدة دينها، ووحدة رسلها، ووحدة مصدرها، وأن الأمة الإسلامية ورثت العقائد السماوية ووحدة النبوات منذ فجر البشرية، والمحافظة على تراث العقيدة وتراث النبوة، ورائدة موكب الإيمان على الأرض إلى آخر الزمان.

6 - الإيمان بالكتب السابقة، ينقي روح المؤمن من التعصب الذميم ضد الديانات، وضد المؤمنين بالديانات، ماداموا على الطريق الصحيح<sup>(1)</sup>.

والموقف الذي ينبغي أن يتخذه المسلم من تلك الكتب «التوراة والإنجيل»، أن يؤمن بما ورد فيها مما قرره القرآن الكريم، أما ما ورد مخالفاً أصول القرآن العامة فلا يؤمن به، بل يعتقد في بطلانه، أما ما عدا ذلك من القصص والمواعظ التي لم يذكرها القرآن، ولا تناقض أصوله فلا يصدقها ولا يكذبها، وذلك اتباعاً لما ورد عن النبي ﷺ: «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله، فإن كان حقاً لم تكذبوهم وإن كان باطلاً لم تصدقوهم»<sup>(2)</sup>.

فأخبار أهل الكتاب على ثلاثة أقسام:

الأول: ما علمنا صحته، وشهد له بالصدق ما بأيدينا من الوحي فذاك صحيح.

الثاني: ما علمنا كذبه، ودل على كذبه مخالفته لما لدينا من الوحي.

(1) العقيدة الإسلامية، د. أحمد جلي، ص: 211.

(2) مسند أحمد رقم 17225، الموسوعة الحديثية (28/460)، البخاري رقم 4485.

الثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجاوز حكايته لما أخرج البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ قال: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»<sup>(1)</sup>.

خامساً: القرآن الكريم نسخ الكتب السابقة كلها:

شاء الله ﷻ أن ينسخ الكتب السابقة كلها وينزل كتابة الأخير ليبقى في الأرض إلى قيام الساعة، كان كل رسول من السابقين يرسل إلى قومه خاصة، بينما بعث الرسول محمد ﷺ إلى البشرية كافة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ آلِ نَبِيِّ الْأَوَّلِيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 158].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبا: 28].

وكذلك كانت الكتب السابقة تنزل لأقوام معينين بينما أنزل القرآن للناس كافة، قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [القلم: 52].

لذلك اقتضت مشيئة الله أن ينسخ هذا الكتاب الشامل الكامل ما سبقه من الكتب جميعاً ويهيمن عليها، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّئًا عَلَيْهِ قُلُوبَهُمْ بَيْنَهُمْ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ

(1) البخاري رقم 3461.



لِكُلِّ جَمَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَسَبَّلُوكُمْ فِي مَا ءَاتَيْنَاكُمْ فَاسْتَقْبُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ أَحْكَمْتُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّنَا يُبْدِ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بَعْضُ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَهَنَّمِ يَتَّبِعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ [المائدة: 48-50].

ولم يعد يقبل من أحد أن يستمسك بما سبق من الكتب ويرفض القرآن، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة: 68].

وإقامة التوراة والإنجيل بالنسبة لأهل الكتاب المخاطبين بهذه الآية معناها: الإقرار بوحداية الله، ذلك أن التوراة والإنجيل المنزلين من عند الله يقران هذه الوجدانية تقريراً جازماً، ولكن أهل الكتاب حرفوهما، فالمطلوب منهم هو إقامتها مرة أخرى، أي الرجوع إلى أصل التوحيد، ثم إن التوراة والإنجيل قد ذكرا محمداً ﷺ وأمر باتباعه عند ظهوره، فإقامتهما معناها الإيمان بالرسول ﷺ وما نزل عليه من وحي. . أي الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ﴾ [آل عمران: 19].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ عِزَّ الْأَسْلَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85].

وقال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولا يؤمن بالذي

أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»<sup>(1)</sup>.

وفي خلاصة هذا المبحث يتضح لنا:

- أن الله ﷻ أنزل كتباً ورد ذكرها في القرآن الكريم هي بترتيبها التاريخي كما يأتي: صحف إبراهيم - التوراة - الزبور - الإنجيل - القرآن.

- وأن هذه الكتب جميعاً تحتوي على حقيقة أساسية هي وحدانية الله ﷻ ووجوب إخلاص العبادة له بغير شريك، وطاعته فيما يأمر وينهى عنه.

- أن الكتب السابقة على القرآن لم يعد لها وجود في صورتها المنزلة لأنها إما ضاعت ولم يعد لها أثر معروف كصحف إبراهيم، وإما حرفت على أيدي أصحابها كاللغة والتوراة والإنجيل.

- أن التحريف الغالب إما بالتغيير والإضافة وإما بالكتمان، ومن أبرز الإضافات أساطير التوراة وقصة تأليه عيسى وقصة التثليث، ومن أبرز ما كتموه الإخبار عن بعثة الرسول ﷺ.

- أن مشيئة الله قد اقتضت نسخ الكتب السابقة كلها ما ضاع منها وما حرف وأنزل القرآن مصداقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه وناسخاً لكل ما سبق تنزيله من عند الله<sup>(2)</sup>.

(1) صحيح مسلم بشرح النووي (2/160).

(2) ركائز الإيمان، ص: 203.

## الخاتمة

وبعد: فهذا ما يسره الله لي من الحديث عن الإيمان بالقرآن الكريم والكتب السماوية في هذا الكتاب وقد سميته «الإيمان بالقرآن الكريم والكتب السماوية» فما كان فيه من خطأ، فأستغفر الله تعالى، وأتوب إليه والله ورسوله بريء منه، وحسبي أنني كنت حريصاً ألا أقع في الخطأ، وعسى ألا أحرَم من الأجر.

وأدعو الله أن ينفع بهذا الكتاب بني الإنسان أينما وجد، ويكون سبباً في زيادة إيمانه، وهدايته، أو تعليمه، أو تذكيره، وأن يذكرني من يقرؤه من إخواني المسلمين في دعائه، فإن دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب مستجابة إن شاء الله تعالى وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالضَّالِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: 69].

وبقول الشاعر:

يا منزل الآيات والفرقان	بينني وبينك حرمة القرآن
أشرح به صدري لمعرفة الهدى	واعصم به قلبي من الشيطان
يسر به أمري واقض مآربي	وأجر به جسدي من الثيران
واحطط به وزري وأخلص نيتي	واشدد به أزري وأصلح شأني
واكشف به ضربي وحقق توبتي	واربح به بيعي بلا خسراني

طهر به قلبي وصف سريري  
 واقطع به طمعي وشرف همتي  
 أسهر به ليلى وأظم جوارحي  
 وامزجه يا رب بلحمي مع دمي  
 أنت الذي صوّرتني وخلقتنني  
 أنت الذي علّمتني ورحمتني  
 أنت الذي أطعمتني وسقيتنني  
 وجبرتني وسترتني ونصرتني  
 أنت الذي آويتني وحبوتني  
 وزرعت لي بين القلوب مودة  
 ونشرت لي في العالمين محاسناً  
 وجعلت ذكرى في البرية شائعاً  
 والله لو علموا قبيح سريري  
 ولأعرضوا عني وملؤا ضجعتي  
 لكن سترت معايبي ومثالي  
 فلك المحامد والمدائح كلها  
 «سبحانك اللهم وبحمدك  
 أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك  
 وأتوب إليك».

## كتب صدرت للمؤلف

- 1 - السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث.
- 2 - سيرة الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه : شخصيته وعصره.
- 3 - سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : شخصيته وعصره.
- 4 - سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه : شخصيته وعصره.
- 5 - سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : شخصيته وعصره.
- 6 - سيرة أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب. شخصيته وعصره.
- 7 - الدولة العثمانية: عوامل النهوض والسقوط.
- 8 - فقه النصر و التمكين في القرآن الكريم.
- 9 - تاريخ الحركة السنوسية في أفريقيا.
- 10 - تاريخ دولتي المرابطين و الموحيدين في الشمال الأفريقي.
- 11 - عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين.

- 12 - الوسطية في القرآن الكريم.
- 13 - الدولة الأموية، عوامل الازدهار و تداعيات الانهيار.
- 14 - معاوية بن أبي سفيان، شخصيته و عصره.
- 15 - عمر بن عبد العزيز، شخصيته وعصره.
- 16 - عصر الدولة الزنكية.
- 17 - عماد الدين زنكي.
- 18 - نور الدين زنكي.
- 19 - دولة السلاجقة.
- 20 - الإمام الغزالي وجهوده في الإصلاح والتجديد.
- 21 - الشيخ عبد القادر الجيلاني.
- 22 - فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة.
- 23 - حقيقة الخلاف بين الصحابة.
- 24 - وسطية القرآن في العقائد.
- 25 - فتنة مقتل عثمان.
- 26 - السلطان عبد الحميد الثاني.
- 27 - دولة المرابطين.
- 28 - دولة الموحدين.
- 29 - عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور فكر الخوارج.
- 30 - الدولة الفاطمية.
- 31 - حركة الفتح الإسلامي في الشمال الأفريقي.

- 32 - صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير البيت المقدس.
- 33 - إستراتيجية شاملة لمناصرة الرسول ﷺ دروس مستفادة من الحروب الصليبية.
- 34 - الشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء.
- 35 - الحملات الصليبية (الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة) والأيوبيون بعد صلاح الدين.
- 36 - المشروع المغولي عوامل الانتشار وتداعيات الانكسار.
- 37 - سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت في عهد المماليك.
- 38 - الإيمان بالله جل جلاله.
- 39 - الإيمان باليوم الآخر.
- 40 - الشورى في الإسلام.
- 41 - السلطان محمد الفاتح.
- 42 - الإيمان بالقدر.
- 43 - الإيمان بالملائكة.
- 44 - الإيمان بالقرآن الكريم والكتب السماوية.

## فهرس المحتويات

- الإهداء ..... 7
- المقدمة ..... 9
- الإيمان بالقرآن الكريم والكتب السماوية ..... 14

### المبحث الأول: القرآن لغة واصطلاحاً

- أولاً: القرآن لغة ..... 14
- ثانياً: القرآن في الاصطلاح ..... 16

### المبحث الثاني: عظمة القرآن وأسمائه وصفاته

- أولاً: عظمة القرآن الكريم ..... 17
- 1 - ثناء الله على كتابه ..... 17
- 2 - عظمة مُنَزَّلِهِ ..... 19
- 3 - فضل من نَزَّل القرآن ..... 20
- 4 - القرآن تنزيل رب العالمين ..... 20
- 5 - القرآن مستقيم ليس فيه عوج ..... 21
- 6 - خشوع الجبال وتصدُّعها ..... 23
- 7 - انقياد الجمادات لعظمة القرآن ..... 24



- 8 - تحدي الإنس والجن بالقرآن ..... 25.
- ثانياً: أسماء القرآن الكريم ..... 27.
- 1 - الفرقان ..... 27.
- 2 - البرهان ..... 29.
- 3 - الحق ..... 30.
- 4 - النبأ العظيم ..... 33.
- 5 - البلاغ ..... 34.
- 6 - الروح ..... 34.
- 7 - الموعظة ..... 35.
- 8 - الشفاء ..... 35.
- 9 - أحسن الحديث ..... 36.
- ثالثاً: أوصاف القرآن الكريم ..... 38.
- 1 - الحكيم ..... 38.
- 2 - العزيز ..... 39.
- 3 - الكريم ..... 41.
- 4 - المجيد ..... 41.
- 5 - العظيم ..... 41.
- 6 - البشير والنذير ..... 42.

7 - لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . . . . . 42.

### المبحث الثالث: خصائص القرآن الكريم

أولاً: كتاب إلهي . . . . . 44.

ثانياً: كتاب محفوظ . . . . . 47.

ثالثاً: معجزة . . . . . 49.

1 - تعريف المعجزة . . . . . 49.

2 - شروط المعجزة . . . . . 49.

3 - القرآن هو المعجزة العظمى . . . . . 50.

توضيح هذا الإعجاز . . . . . 53.

وجود دواعي التحدي . . . . . 54.

4 - وجوه إعجاز القرآن . . . . . 55.

رابعاً: كتاب مبين وميسر . . . . . 58.

خامساً: القرآن كتاب هداية . . . . . 59.

سادساً: كتاب الإنسانية كلها . . . . . 63.

سابعاً: كتاب الزمن كله . . . . . 67.

ثامناً: نزوله بأرقى اللغات وأجمعها . . . . . 68.

تاسعاً: تصديق القرآن لكتب الله وهيمته عليها . . . . . 69.

1 - علاقة الهيمنة بالتصديق . . . . . 70.

70. . . . . 2 - مظاهر هيمنة القرآن على الكتب السابقة

### المبحث الرابع: مقاصد القرآن الكريم

73. . . . . أولاً: تصحيح العقائد والتصورات

74. . . . . ثانياً: تصحيح العقيدة في النبوة والرسالة

74. . . . . بيان الحاجة إلى النبوة والرسالة

75. . . . . بيان وظائف الرسل في التبشير والإنذار

76. . . . . ثالثاً: تثبيت عقيدة الإيمان بالآخرة

78. . . . . رابعاً: تزكية النفس البشرية

81. . . . . خامساً: عبادة الله وتقواه

89. . . . . سادساً: إقامة العدل بين الناس

91. . . . . سابعاً: الشورى

94. . . . . ثامناً: الحرية

102 . . . . . حرية الفكر

109 . . . . . تاسعاً: رفع الحرج

110 . . . . . 1 - أدلة التيسير والتخفيف

110 . . . . . 2 - أدلة رفع الحرج

111 . . . . . 3 - أدلة عدم التكليف بما يضاد الوسع والطاقة

113 . . . . . عاشراً: تقرير كرامة الإنسان

- 1 - الإنسان خليفة في الأرض . . . . . 113
- 2 - الإنسان محور الرسالات السماوية . . . . . 113
- 3 - تكليف الملائكة بالسجود لآدم . . . . . 115
- 4 - تفضيل الإنسان عن سائر المخلوقات . . . . . 116
- 5 - تسخير ما في الكون للإنسان . . . . . 116
- 6 - تكريم الإنسان بالعقل . . . . . 117
- 7 - تكريم الإنسان بالأخلاق والفضائل . . . . . 119
- 8 - تكريم الإنسان في تشريع الأحكام . . . . . 120
- الحادي عشر: تقرير حقوق الإنسان . . . . . 124
- 1 - حق الحياة . . . . . 124
- 2 - حق الحرية . . . . . 125
- 3 - حق المساواة . . . . . 125
- 4 - حق العدالة . . . . . 126
- 5 - حق الفرد في محاكمة عادلة . . . . . 127
- 6 - حق الحماية من تعسف السلطة . . . . . 128
- 7 - حق الفرد في حماية عرضه وسمعته . . . . . 128
- 8 - حق اللجوء . . . . . 129
- 9 - حقوق الأقليات . . . . . 130

130	10 - حق المشاركة في الحياة العامة
131	11 - حق الدعوة والبلاغ
132	12 - الحقوق الاقتصادية
133	13 - حق حماية الملكية
134	14 - حق العامل
134	15 - حق الفرد في كفايته من مقومات الحياة
135	16 - تأكيد حقوق الضعفاء
139	الثاني عشر: تكوين الأسرة الصالحة
140	1 - حفظ النسل
141	2 - تحقيق السكن والمودة والرحمة
142	3 - حفظ النسب
143	4 - الإحصان
143	5 - حفظ التدين في الأسرة
145	الثالث عشر: إنصاف المرأة وتحريرها من ظلم الجاهلية
158	الرابع عشر: بناء الأمة الشهيذة على الناس
160	أوصاف الأمة الأساسية في القرآن
164	الخامس عشر: السماحة
168	السادس عشر: الرحمة

- السابع عشر: الوفاء بالعهود والعقود . . . . . 172
- 1 - الترغيب بالوفاء بالعهد . . . . . 172
- 2 - الأوامر القرآنية بالوفاء بالكيل والوزن . . . . . 173
- 3 - الأمر بالوفاء بالعقود . . . . . 178
- 4 - الأمر بالوفاء بالنذر . . . . . 178
- 5 - تنويه القرآن الكريم بأهل الوفاء . . . . . 179
- 6 - ما أعدده الله لأهل الوفاء من الأجر والجزاء . . . . . 182

### المبحث الخامس: جمع القرآن وكتابته

- أولاً: جمع القرآن الكريم من فم رسول الله ﷺ . . . . . 184
- ثانياً: جمع القرآن الكريم في مصحف واحد . . . . . 188
- ثالثاً: جمع القرآن الكريم في عدد من المصاحف . . . . . 194
- 1 - الباعث على جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان . . . . . 194
- 2 - استشارة جمهور الصحابة في جمع عثمان . . . . . 197
- 3 - الفرق بين جمع الصديق وجمع عثمان بن عفان . . . . . 199
- هل المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة؟ . . . . . 199
- 4 - عدد المصاحف التي أرسلها عثمان إلى الأمصار . . . . . 201

### المبحث السادس: الكتب السماوية

- أولاً: وجوب الإيمان بالكتب السماوية . . . . . 203

206 . . . . .	ثانيًا: الكتب التي ورد ذكرها في القرآن الكريم
206 . . . . .	1 - الصحف
207 . . . . .	2 - التوراة
210 . . . . .	3 - الإنجيل
214 . . . . .	4 - الزبور
215 . . . . .	ثالثًا: تحريف الكتب السماوية
221 . . . . .	رابعًا: أهمية الإيمان بالكتب السماوية
223 . . . . .	خامسًا: القرآن الكريم نسخ الكتب السابقة كلها
226 . . . . .	الخاتمة
228 . . . . .	كتب صدرت للمؤلف
231 . . . . .	فهرس المحتويات